يقظة وجدان الشيطان

يقظة وجدان الشيطان

رواية

بيسان أحمد

اسم الكاتبة: بيسان أحمد
اسم الكتاب: يقظة وجدان الشيطان
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: فارس حسن
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – أغسطس ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2019 / 15580
الترقيم الدولي: 978 – 977 – 6645 – 67 – 7

١١٤ ع جنوب الأحياء – السادس من أكتوبر
Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
ت / ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

الإهداء

- لكل فتاة امتحنتها الأيام وأتعبتها السنين وظلمتها عيون البشر وحاولت أن تدمرها...
- لكل إنسان جاحد ظلم فتاة وحاول أن يسقطها في مستنقع الشر ليطأطئ رأسها بافتراءات كاذبة...
- لكل أم تحاول أن تربي فتياتها وتبعدهم عن الظلام الدامس المحيط في مجتمع لا يرحم ولا تتحقق به عدالة المساواة بين آدم وحواء...
- لكل أب جمع حبات عرقه الطاهرة ليطعم أطفاله، ليراهم شباباً مسؤولين عن أنفسهم ليبني أسرة متكاملة نقية يسودها الحب والتفاهم....
- لكل أخت ألتمس منها أن تقف مع شقيقتها وتساندها إن جارت عليها الدنيا...
- لكل أخ – لم يتفهم أن شقيقته ضحية مجتمع وظروف لم تختارها بإرادتها وعالمها يحتاج للحماية والأمان...
- لمجتمع ينظر للأنثى على أنها مقيدة بعادات وتقاليد وعندما يحكم عليها بالسقوط إلى الهاوية الشائكة يرميها بملام لآخر عمرها...

بيسان أحمد

الفصل الأول

"طفولة وحنان "

ولدت طفلة في دمشق السلام، فأشرقت الشمس بحلة غريبة عندما أتت هذه الشقية لهذا العالم، زقزقت العصافير وارتمت على الوديان ترسم قلوب صغيرة لتغطيها الفراشات باللون الأحمر، وتعبق منها الزهور الندية.

"ماسة" المدللة عند والدها ولكنها فقدت حنان والدتها المريضة التي تعاني من مرض القلب، بسبب أزمة وفاة ابنتها التي ولدت قبل "ماسة" رغم تحذير الأطباء لها بعدم الإنجاب مرة أخرى لأن حالتها ستتدهور، ولكنها أصرت على إنجاب "ماسة" التي تعلقت بها كثيراً ورسمت لها مستقبل مذهل بخيالها وحياة مشرقة تتمناها كل أم لابنتها.

شعرت الأم أن الله عوضها بـ "ماسة" عن ابنتها التي ماتت بعمر الأربع سنوات، فتعلقت بها كثيراً، وكانت تخاف عليها من كل شيء، تلاحقها بكل ما تفعل، تراقب تصرفاتها، والسبب خوف الأم من هاجس أن تفقد فلذة كبدها مرة أخرى.

أما الأب فيذهب في الصباح إلى عمله وهو حائر وعقله مشغول بزوجته المريضة وأولاده.

ذات يوم من الأيام اتصلت ابنته الكبرى لتخبره أن أمها قد أصيبت بجلطة، وأنها اتصلت بالإسعاف لنقلها إلى المشفى، ليركب الأب سيارته ويتجه مسرعاً إلى المشفى، وعند وصوله كانت زوجته داخل غرفة العناية المشددة فتحدث مع الطبيب:

- مرحبا دكتور أرجوك أعلمني ما هي حالة زوجتي "وهو مرتبك وحزين".
- أهلاً أهلاً اطمئن هي ليست بخطر كبير، ولكن علينا إجراء عملية في القلب وتغيير صمامين بأقصى سرعة لأن حالتها مزرية

وتحتاج للعملية الآن، أرجو أن تقدم موافقتك للاستعلامات وتوقع على الأوراق على الفور ودفع مبلغ مقدماً وإلا سوف تخسر زوجتك إلى الأبد.

- لا لا يا دكتور سأذهب فوراً أنا موافق "متوسلاً للطبيب" أنقذها يا دكتور أنا أعتمد على الله وعليك لتنقذ حياتها أرجوك.
- إن شاء الله هيا أسرع.

يذهب السيد "عبد الكريم" إلى الاستعلامات مسرعاً ويشاهد هناك ابنته "هديل" وهي تبكي بحرقة، تقف وهي منهارة تسند جسدها على الحائط، وعندما شاهدت والدها أسرعت إليه بخطى مندفعة لتحتضنه وهي تتألم من الحزن على والدتها.

قالت بصوت منخفض حزين:

- علينا أن نستعجل في إجراء العملية وألا خسرنا أمي.

- نعم سنجري لها العملية وبسرعة سأدخل لغرفة الاستعلامات وأتفق معهم، لا عليكِ كوني بخير وهدأي أعصابك سأعود إليكِ، قفي هنا وانتظري.

دخل السيد "عبد الكريم" لغرفة الاستعلامات واتفق معهم على إجراء العملية وبالسرعة القصوى، بينما وقفت "هديل" حزينة في أحد ممرات المشفى وهي تبكي وقلبها يتألم وتدعو الله أن ينقذ أمها، وعيناها تنظران إلى السماء التي بدأت الغيوم تحجب صفحتها، وأرعدت بتلك اللحظات وهطل المطر، وأحست "هديل" بالاطمئنان والأمل عندما شاهدت الأمطار التي تبشر بالخير والتفاؤل، وسكن قلبها بعض الشيء، وبعد مرور ساعة من الوقت دخلت والدة "ماسة" إلى غرفة العمليات و"هديل" ووالدها ينتظران بلهفة النتيجة في غرفة الانتظار فأتى "يامن" شقيق "ماسة" وهو منزعج جداً:

- مساء الخير أين والدتي؟

- مساؤك سعيد، والدتك في غرفة العمليات لماذا تأخرت كل هذا الوقت قبل أن تأتي إلى المشفى؟
- كان لدي عمل مهم.
- ولكن والدتك أهم، نريد بعض المال هل تملكه.
- نعم ولكن هي دين عليك يا والدي لأنني .... لأنني ....
- اصمت ليس الآن سنتحدث فيما بعد.
- حاضر حاضر...
- ويخرج الأب من الغرفة منزعجاً من ابنه ويذهب نحو غرفة العمليات
- ماذا جرى لك والدك لديه ضائقة مادية ووالدتك حالتها حرجة في غرفة العمليات وأنت لا يوجد في عقلك الفارغ سوى المال.
- اصمتي أنتِ ولا دخل لكِ.

خرجت والدة ماسة من غرفة العمليات إلى غرفة العناية المشددة بعد نجاح العملية في القلب لتغيير الصمام التاجي كانت فرحة هديل كبيرة والدها الذي ذرف دموعه من شدة الفرح وطلب من هديل الذهاب مع شقيقها إلى المنزل لتطمئن على ماسة وكاميليا ليبقى هو مع زوجته لحين خروجها من غرفة العناية المشددة.

وذهبت هديل مع شقيقها إلى المنزل حيث بقيت مع ماسة وكاميليا وزوجة عمها لأن ماسة تبلغ من العمر تسع سنوات وكاميليا سبع سنوات.

دخلت المنزل وجدت الطفلتان نائمتان بعد أن قامت زوجة العم بإطعامهم وهنا شعرت هديل أنها الأخت الكبيرة والأم البديلة لشقيقاتها وأنها ستحمل مسؤولية الاهتمام بهم لحين تحسن والدتها وخروجها من المشفى دخلت غرفة النوم ونظرت لهما بعمق وتأملت براءة الطفولة التي تشع منهما وقالت بينها وبين نفسها:

- جميلاتي أحبكن كثيراً.

خرجت إلى المطبخ لتقوم بأعمال المنزل لأنها ستعود مساءً إلى المشفى مع يامن لتعود زوجة عمها لتبقى مع ماسة وكاميليا.

وعندما حل المساء وبعد غروب الشمس ذهبت هديل مع يامن إلى المشفى وبقيت ماسة مع كاميليا في غرفتهم تدرسان ليحين وقت العشاء والنوم وعند خروج هديل من باب المنزل هرولت إليها ماسة وقالت لها.

- أين أمي يا هديل؟ وأبي لماذا لم يأتي إلى المنزل غابت الشمس والعصافير خلدت للنوم في أعشاشها.
- لا تقلقي يا صغيرتي سيأتي أبتاه بعد ساعتين ولكن لديه عمل مهم وسيتأخر قليلاً وأماه ستبقى قليلاً عند جدتك لأنها متعبة لن تتأخر هيا ادخلي غرفتك أنتِ وكاميليا وأكملا درسكما وإلى النوم لديكما مدرسة في الصباح الباكر هيا.
- وأنتِ لن تعودي.

- ماسة ماسة تسأليني كثيراً سأعود في الصباح الباكر سأذهب مع يامن إلى أمك لنطمئن على جدتك هيا إلى غرفتك تصبحين على خير.

نظرت ماسة لهديل نظرات حيرة ولم تقتنع كثيراً وقبلت هديل ماسة وكاميليا وخرجت من المنزل وعيناها تدمعان لأنها شعرت بعدم قناعة ماسة بكلامها.

- ماسة ذكية لم تصدق أن والدتها عند جدتك يا يامن.
- لا تهتمي طفلة ستلهو وتلعب وتنسى.
- لا أظن.... لا أظن...
- أسرعي أسرعي لأوصلك فأنا لدي موعد مهم مع أصدقائي.

خرجا من المنزل إلى المشفى ليوصل يامن شقيقته هديل وعندما وصلت هديل إلى المشفى شاهدت والدها حزين فقالت له:

- ماذا حصل يا والدي لما أنت حزين هل حصل مكروه لأمي....؟

- لا هي بخير يا بنيتي عمليتها نجحت ولكن قال لي الطبيب أنها لا تستطيع أن تفعل شيء عليها فقط أن ترتاح نفسياً وجسدياً والاهتمام بها كثيراً.
- وقال بانفعال... أين يامن لما هو ليس معك؟
- أوصلني إلى باب المشفى ورحل لديه موعد مهم مع أصدقائه.
- هذا الفتى لا يفهم ألا يستوعب أن لديه أم مريضة لما لم يؤجل موعده اللعين.
- قال إنه موعد عمل مهم جداً.
- كاذب لا تصدقي هو وأصدقائه يجتمعون للعب الورق فقط.
- هدء نفسك يا والدي هداه الله للصواب.
- آمين آمين..
- هيا لنطمئن على أمي – متى قالوا لك سترحل من المشفى....؟
- لا أعلم متى ولكن لا أعتقد إنها ستمكث هنا كثيراً.

- لأن ماسة وكاميليا يسألان عنها وأنا قلت لهما أنها في زيارة عند جدتي لأنها متعبة.
- أحسنتِ القول هيا هيا.

فذهب عبد الكريم وهديل لغرفة العناية المشددة وهناك علموا أنها تستيقظ وطلبت رؤية زوجها وأولادها وعلمت أن عمليتها نجحت وأنها نجت بأعجوبة إلهية.

ولكن السيد عبد الكريم أخبر الطبيب أن بناته في عمر صغير جداً ولا يريدهم أن يشاهدوا والدتهم بهذه الحالة مريضة وطلب منه أن يخرجها بسرعة إلى المنزل لكي تشعر بسعادة هناك مع أولادها وأنه سيجلب لها ممرضة تهتم بها لحين تحسنها من التعب ما بعد العملية.

وافق الطبيب أن يخرجها بعد رحيلها من غرفة العناية المشددة إلى منزلها وطلب منه أن تبقى براحة نفسية وعدم إخبارها بشيء مزعج وتناولها للدواء بأوقاته المحددة والتحاليل الشهرية لمعرفة

ماذا يتطور في حالتها الصحية دائماً وعدم إجهادها في أعمال المنزل اليومية.

وبعد خمسة أيام على مكوثها في المشفى خرجت والدة ماسة إلى المنزل وهي تبتسم لأنها اشتاقت جداً لطفلتيها الصغيرتان ماسة وكاميليا وتريد أن تراهم بشغف شديد فدخلت منزلها وهي مبتسمة ومعها زوجها وهديل ويامن فركضت ماسة وكاميليا واحتضنا والدتهما بحنان وهما سعيدتان جداً.

- كيف حالكما يا صغيرتان اشتقت لكما كثيراً.
- أنا بخير يا أمي واشتقت لكِ أنا أيضاً وكاميليا تبكي بالليل وتقول أمي أمي أبي كنتِ أطلتِ غيابكِ عند جدتي هل لا زالت متعبة.
- ماسة ماسة أنتٍ تسألين ماما كثيراً جدتك أصبحت بخير وها هي أمنا عادت إلينا.

تصمت الأم وتنظر لزوجها بحزن لأنها شعرت بألم في نفسها لأجل طفلتيها الصغيرتان.

- ماسة وكاميليا ماما متعبة قليلاً لن تشاغبان وستبقيان هادئتان.
- حاضر يا والدي هل ستلعب معنا في الحديقة.
- نعم.. هيا اذهبا وارتديا ثيابكم للخروج.

ذهبت ماسة وكاميليا إلى الغرفة وقاما بتغيير ملابسهم وهما في قمة الابتهاج والفرح.

مرت الأيام وماسة وكاميليا تكبران وتنضجان وفي داخل ماسة حزن لا تظهره لأحد لأن أمها لم تعد توقظها صباحاً إلى المدرسة وتحضنها كما الورد الذي يحتضن رائحته الندية ليطلقها صباحاً عند اشراقة الشمس لم تعد والدتها تهتم بها عندما تمرض وعندما تبكي وتفرح رغم اهتمام هديل بها ولكنها تريد من والدتها هذا الاهتمام لأن هديل تتعب فهي تطبخ وتنظف المنزل وتهتم بهما وبوالدها وشقيقها يامن لطالما شعرت ماسة أنها وحيدة حتى

علمت بمرض أمها فأصبحت هي تهتم بها وتأتي إلى غرفتها كل صباح وتقبلها في جبينها وتحضنها وتمشط لها شعرها وتتحدث إليها لأن والدة ماسة تعرضت بعد العملية لجلطات متتالية على الدماغ واللسان وأصبحت قليلة الكلام والحركة فأصبحت ماسة تشعر أن أمها ابنتها الصغيرة وعليها أن ترعاها كثيراً ففي داخل ماسة إصرار على أن والدتها ستتعافى وتعود كما كانت لتعود الأدوار كما كانت الام أم والابنة ابنة لتعود لها مشاعرها القديمة ويرحل الحرمان الذي افتقدته من والدتها والذي لن يعطيها إياه سوى من أنجبتها وهي " ماما ".

وذات يوم استيقظت صباحاً لتذهب إلى المدرسة وكانت هديل متعبة كثيراً لم تستطع أن تلبس ماسة وكاميليا وأن تمشط لهما شعرهما فذهبتا من دون أن يكونا مرتبتان بما يجب وهندامهم غير لائق ووصلتا المدرسة ودخلا باحتها ووقفت كل واحدة منهم في صفها لإلقاء تحية العلم الصباحية اليومية وإذا بالمعلمة بعد انتهاء

تحية العلم تقول لماسة بصوت مرتفع سبب لها بإحراج كبير وشعور مؤلم.

- ماسة تعالي إلي بسرعة.
- نعم آنسة.
- لماذا شعركِ منكوش وثيابك غير مكوية ومرتبة وأين حزامك المدرسي.

صمتت ماسة ولم تتحدث بشيء ولكن عيناها قالتا الجواب لأنها ذرفت منهما دمعتين ولكنها صرخت بقوة بوجه المدرسة وقالت لها:

- والدتي مريضة مريضة وشقيقتي الكبيرة كانت متعبة ولم تستطع أن تهتم بنا أنا وكاميليا هل جربتِ هذا الشعور أن تفقدي أمكِ وهي على قيد الحياة.

صمتت المدرسة لما سمعته من ماسة والدهشة على وجهها ولم تستطع أن تجاوب بكلمة واحدة وندمت لأنها قامت بسؤالها لأن

ماسة لم تتوقف بعدها عن البكاء فاحتضنتها وتحدثت بكلام لطيف وقالت لها:

- اعتبريني أمكِ يا ماسة الأم التي في مدرستكِ هنا هي أنا.

توقفت ماسة عن البكاء وفرحت من كلام مدرستها التي رأت ماسة فيها حنان أمها للحظات قليلة لامس قلبها الصغير الذي يصرخ كل يوم أمي أمي عودي كما كنتِ لأنني أحتاج إليكِ بقربي لتضعين يداكِ على شعري وتهمسين لي أحبك ماسة عادت ماسة إلى المنزل وأخبرت هديل بما حصل وقالت لها:

- متى تتعافى أمي يا هديل.
- ستتعافى قريباً وتعود إلينا كما كانت.
- أريد أن أسمع صوتها أريدها أن تغمرني وتذهب معنا إلى الحديقة والسوق.
- بإذن الله يا ماسة سيحصل ادعي لها واهتمي بها فقط وثابري في دراستك لكي تكون سعيدة وفخورة بكِ دائماً.

- أجل ستعود كما كانت وأنا سأجعل من روحي حارساً لها.

أصبحت ماسة في الثالث الاعدادي تتفتح للدنيا لتبدأ معركتها مع الحياة التي لم تعلم ماذا ...؟ تخبأ لها من مآسي وخيبات وصدمات جارحة ومسؤوليات ستتحملها وهي أكبر من عمرها وخاصة بعدما شعرت أنها ستخسر شقيقتها هديل التي قامت برعايتها وهي طفلة لأن هديل تقدم لخطبتها شاب وهي تريده وستسافر معه إلى بلد آخر لأنه يعمل خارج البلاد حتى هديل لم تكن سعيدة بفراق عائلتها ولكن هذه أقدار الله وقدره وما كتبه لكل البشر زواج وموت وفرح وحزن وفراق ولكل منا مصير وعليه أن يواجهه وصبر وإيمان بمن خلق الكون.

- يوم زفاف هديل كان يوم أسود على ماسة لأنها ستكون الأم والأخت البديلة عن هديل وهي في عمر الخامسة عشر كغصن

أخضر يافع مقبل على حمل ثماره لأول مرة برعم يتمايل مع الرياح شرقاً وجنوباً ورقة صغيرة تحتمي من أشعة الشمس تحت الظل لتحمي نفسها من حرارتها وهل....؟

ستصمد طويلاً في معركة شرسة مع وحوش بشرية وغزلان وديعة في غابة القانون فيها الضعيف يُكسر والقوي ينتصر حتى لو كان ليس على حق.

تزوجت هديل وسافرت مع زوجها وبقيت ماسة تلملم أحلامها الضائعة بين طريق دامس ظلامه يقف على حافة هاوية....!

الفصل الثاني

" حب بريء "

بين الصراع الذي يدور في رأس ماسة وبين ضجيج يحاول أن يسيطر عليها لتوقظها الفراشات صباحاً وهي تقرر أن تترك مدرستها وتبقى بقرب والدتها وأن تهتم بكاميليا ووالدها وتتعلم أمور المنزل جيداً.

- صباح الخير يا أمي اليوم أنا لن أذهب إلى مدرستي سأبقى في المنزل وأتعلم الطبخ جيداً وسأهتم بكِ.

الأم منزعجة من داخلها تريد أن تبوح وتلوح بوجهها ب لا لا وعيناها غاضبتان ولكن ماسة لم تكترث لما أغضب والدتها وكانت مصرة على قرارها وقالت لها:

- لا تغضبي يا أمي لا أريد أن أدرس سأكمل دراستي من دون قيود وأقدم أوراقي لمعهد التمريض لأتعلم كيف أهتم بكِ أكثر لا تنفعلي ابقي هادئة فقط أريدك أن تتعافي وتتحدثين مثل قبل،

أنا قررت ولن أتراجع عن قراري مهما حصل وبعد يومين سأذهب إلى المعهد وأتعلم التمريض وعندما تتعافين سأعود وأكمل الدراسة وعد عليّ أن أكملها ولكن أنتِ الأهم لديّ فأرجوكِ اهدئي أنتِ أمي وابنتي وصديقتي أنتِ أمل أعيش لأجله أحبك.

الأم تذرف دموع من عيناها لأنها السبب بضياع مستقبل ابنتها وسعيدة لأن ماسة بقربها ترويها حنان ودفء ودافع كبير بالشفاء.

دخل الغرفة الأب وهو يشاهد زوجته تبكي وتبتسم وقال:

- صباحكم سعيد كيف حالكم ماذا حصل ماسة لأمك هل تتألم من شيء....؟
- هي فقط شعرت ببعض الألم وأنا بقربها سيذهب ما يؤلمها بإذن الله.
- هل أتصل بالطبيب؟
- لا داعي يا والدي سأهتم بها أنا.

- أليس لديكِ مدرسة الآن.
- اليوم عطلة لأن المدرسة متعبة وأنا لا أريد الذهاب لحضور باقي الحصص سأدرس لوحدي في المنزل.
- ولكن هذا خطأ يا ماسة دروسك مهمة لا تتكاسلي اذهبي.
- لا أريد سأقدم أوراقي لمعهد التمريض المتوسط لا أريد المدرسة بعد اليوم.
- إذاً أنتِ تكذبين يا ماسة ألم يكن حلمك أن تصبحي طبيبة....؟
- نعم ولكن حلمي بأن تكون أمي بصحة جيدة أجمل وأهم، سأعود للدراسة بعد أن تتعافى لا أريد أن أتركها وأنشغل عنها.
- أنا أرفض ما تقولين لن تتركين المدرسة هيا اذهبي وبدلي ثيابك للذهاب.
- وأنا لن أدرس وسأتعمد الرسوب لا أريد الدراسة الآن.

- يا لكِ من فتاة عنيدة أنا ذاهب إلى عملي وعندما أعود سنتحدث اهتمي بأمك جيداً أنا ذاهب لن أغيب عنك طويلاً يا زوجتي العزيزة.

بعد أن اطمئن على زوجته في الصباح الباكر وتبسمت له زوجته التي يحبها كثيراً ذهب السيد عبد الكريم لعمله وهو يفكر بماسة التي تريد أن تحطم مستقبلها وهو في حيرة ماذا يفعل....؟

يامن الذي يبلغ سن الخامسة والعشرون يعمل ولكنه شاب محب لنفسه فقط لا يهمه أحد يريد كل شيء له يحب المال كثيراً بخيل لدرجة كبيرة جشع ومتسلط فوضوي يغضب بسرعة لأي سبب لا يستعمل أسلوب الصراخ والضرب لتخويف من حوله منه إن كان على حق أم على باطل ولكن مع الغريب هادئ ومهذب وهذا يدل على النقص المتواجد في شخصيته الضعيفة المهزوزة في الداخل وذات يوم أتى من عمله ليأكل.....!

- ألم يأتِ والدي إلى الغداء....؟

- لا هو مشغول اليوم سيأكل في العمل.
- وماذا طبختِ لنا اليوم....؟
- فاصولياء ورز ولكني متعبة من أعمال المنزل وأكلت من قليل أنا وأمي إن كنت تريد أن تأكل ادخل المطبخ وأعد الطعام لنفسك....!
- مممممم ولما أنا رجل ولا أدخل المطبخ....! هيا أعدي لي الطعام وبسرعة.
- قلت لك أنا متعبة ألم تسمع ماذا قلت....؟
- لا لم أسمع.....!
- لن أعد لك الطعام فلتضعه بنفسك
- أنتِ تردين عليّ بصوت عالٍ أيضاً
- أنا صوتي منخفض ولكنك أنت من تريد إجباري على إحضار الطعام لك ولا تكذب.

فهجم عليها وقام بضربها ضرباً مبرحاً على رأسها وظهرها والأم تسمع من غرفتها صراخ ماسة وتبكي ولكنها لا تستطيع أن تنهض لتنقذها.

بعد ضربه لماسة خرج من المنزل بسرعة وماسة اتصلت بوالدها وأخبرته بما حصل فترك السيد عبد الكريم عمله وتوجه إلى منزله.

دخل إلى منزله مسرعاً واحتضن ماسة وجدها جالسة في غرفتها وهي تتألم من ضرب يامن وتبكي بصوت منخفض لكي لا تسمعها والدتها وتتأثر لحالها.

- أين هو يامن سحقاً لهذا الولد ألم يتعلم بعد رغم قسوتي عليه.....؟
- بعد ضربه لي رحل.
- وما سبب ضربه لكِ هكذا....؟

- لأني رفضت أن أضع له الطعام لأني متعبة من أعمال البيت والاهتمام بأمي
- لا بأس أنا سألقنه درساً لن ينساه ارتاحي أنتِ لأذهب إلى أمك.

دخل إلى زوجته وجدها مغمى عليها فأخبر كاميليا وطلب منها أن تتصل بالإسعاف فوراً لنقلها إلى المشفى.

أما يامن مع أصدقائه يلعبون الورق ولا علم له بأنه تسبب بتعب لأمه التي سمعت كل شيء وعند نقلها إلى المشفى قال لهم الطبيب إنها منزعجة من شيء وارتفع الضغط عندها وأنه طلب منهم الراحة النفسية والهدوء وأن لا يتسبب لها أحد بشيء من الزعل فبقيت هناك يومان وبعدها عادت مع ماسة ووالدها إلى منزلها فدخل السيد عبد الكريم ووجد يامن مستلقي على كنب غرفة الجلوس يشاهد التلفزيون وكأنه لم يحصل شيء فحدثه وقال له:

- يا ولد قف وتحدث معي
- ماذا تريد مني...؟
- والدتك في المشفى لم أشاهدك هناك.
- لم أعلم.
- كاذب ولماذا ضربت ماسة أنت لا يحق لك أن تضربها.
- ابنتك قليلة الأدب وعليّ أن أعلمها الأدب حتى لو بالضرب.
- اصمت " وصفعه على وجهه صفعة قوية "
- فصمت يامن وخرج من المنزل والغضب يشتعل بعقله وسخطه على ماسة لأنها السبب بما حصل.

ماسة شاهدت ما حصل وحزنت لأجله لأنها سامحته فهي تحب شقيقها ولكن والدها يريد أن يعلمه ويفهمه أن لا يضرب ابنته مرة أخرى.

دخلت ماسة غرفة والدتها واستلقت بقربها واحتضنتها ووضعت يدها على شعرها وغفت بقربها وهي تحلم بحلمها الذي طالما شاهدته في يقظتها.

ماسة تحلم بأن تصبح طبيبة مشهورة لها عيادتها الخاصة وأن تعالج المرضى بحب وتفاني وإتقان وأنها تقوم بعمليات جراحية ناجحة وتساند الفقراء في أوجاعهم وأن تمارس هوايتها بعزف البيانو وأن والدتها سعيدة بما وصلت له والدها يتفاخر بابنته وشقيقها سند لها وأن الدنيا مليئة بالأزهار الملونة تغمر حياتها مع أسرتها ولكن حلمها دائماً ينتهي عندما تستيقظ لتواجه واقعاً مريراً تلتمس منه حقيقة صعبة وآمال بعيدة عن طموحاتها التي ترسمه في مخيلتها التي تذهب بها إلى المستقبل الواعد الجميل.

وبعد مرور شهر من الزمن عاد السيد عبد الكريم مكسور الروح ومنهار كلياً متعب وعيناه يائستان فجمع ماسة ويامن وكاميليا ليخبرهم ما حصل معه في عمله وقال لهم:

- جمعتكم لأقول لكم حقيقة ما حصل معي في عملي وللأسف.

" ينظر لأولاده وهو متردد "(وقهقه في صوته وعقد حاجبيه)

- يا أولاد شريكي أخذ المال وهرب خارج البلد والدولة تطالبني بضرائب فوق رأس المال الذي معي لأن شريكي لم يكن يدفع كما كان يقول وسأضطر لبيع الدكاكين لتسديد الضرائب وانتظار شريكي لنتحاسب.
- ولكن يا أبي يمكنك أن ترفع عليه دعوى قضائية بتهمة النصب والاحتيال وأخذ مالك والهروب به.
- نعم ولكن هكذا قضايا ستأخذ وقتاً طويلاً ومصاريف كثيرة أنا لم أكتشف الأمر إلا بعد فوات الأوان.
- لا تزعج نفسك نحن سنعمل ويامن سيدفع معك مصاريف الضرائب.

- ولكن يا ماسة المبلغ كبير جداً أنا أعلنت إفلاسي والتجار لم يساندني أحد منهم وكأنهم ينتظرون سقوطي في البئر.
- أنا سأعمل ممرضة في المشفى لا تقلق وعلينا أن نتعاون جميعاً.
- لا يا بنيتي ومن سيبقى بقرب والدتك المريضة.
- سأبقى بقربها وأعمل أيضاً لا تبالي فأنا أستطيع أن أقوم بكل شيء
- لا، يامن وأنا نعمل فقط وأنتِ ابقي كما أنتِ واهتمي بكاميليا وأمك فقط
- كما تريد يا والدي.

يامن لم يعجبه ما حصل لأنه أناني جداً ولا يريد صرف ماله على أحد وبدت على وجهه علامات الامتعاض من حديث والده ولكنه صمت وخرج من المنزل.

ماسة كما كل يوم تذهب لغرفة والدتها وتحضنها وتستحضر حلمها الرائع الذي يشعرها بتفاؤل والأمان وهي بقرب أمها الملائكية.

قررت ماسة أن تذهب في الصباح الباكر لتقدم طلب توظيفها في المشفى القريبة من منزلها، ستعمل لتعين والدها في المصروف وتم قبولها، عادت إلى بيتها سعيدة وأخبرت والدها وشقيقها ووالدتها ولكن والدها رفض الموضوع وطلب منها بأن لا تعمل وأنه سيعمل ببيع الخضراوات والفواكه مع صديق قديم له يعمل في هذا المجال مؤقتاً لحين عودة شريكه وقرار المحكمة ولكنها أصرت على العمل وأنها لن تقصر بواجباتها نحو والدتها والمنزل وأن وقت عملها مسائياً عندما يأتي هو للمنزل ليبقى مع أمها ألحت عليه كثيراً فوافق وهنا بدأت قصة غريبة مع ماسة داخل هذه المشفى التي ستعرفها على من سيجعل حياتها مآسي وظلم وضياع للغوص في معركة قوية وشرسة ضد ظروف وضعتها في

سراب يقودها إلى نهر الجاف وداومت ماسة في عملها المسائي وكانت سعيدة جداً بما تقوم به من رعاية المرضى بعطف وحنان وأمانة تامة وخاصة عندما تتحسن حالة المريض الذي تهتم به وفي ذات يوم من الأيام دخل الإسعاف رجل في حالة كسر في قدمه اليمنى وكانت ماسة هي من ستقوم بالاهتمام به وهو محامي واسمه باسم وقد أبدى اعجابه بماسة كثيراً وكانت ماسة سعيدة بلباقته ولطفه معها وبشاشته التي كانت تظهر على وجهه عندما تأتي إليه لرعايته وعندما خرج من المشفى ترك لها رقم هاتفه النقال وطلب منها أن تحدثه وإن كانت تريد أي مساعدة فهو يريد أن يتعرف عليها أكثر فترددت ماسة بأخذ رقمه ولكنه أصر عليها وأخذته وفي داخلها فضول كبير ماذا يريد منها....؟

وبعد أن نضجت ماسة أصبحت جميلة جداً والجميع يحبها لروحها المرحة والطفولية وبراءتها وطيبتها أصبحت العيون من الرجال عليها كثيرة يحاولون أن يتقربوا منها ولكنها دائماً كانت

تتذكر كلام شقيقتها الكبيرة هديل التي أوصتها به قبل أن تسافر فتعود بها ذاكرتها لما قالته هديل.

- يا ماسة أنا سأسافر مع زوجي لمكان بعيد ولست هنا بقربك دائماً ورغم المسافات الطويلة ولكن قلبي وعقلي معكم وخاصة أنتِ لأنكِ لستِ أختِ الصغيرة ولكنك ابنتي التي ربيتها وواجب عليّ أن أحذركِ من البشر أصبحتِ كبيرة في سن الواحدة والعشرون ولكنكِ لم تخوضي تجارب بعد وعودك ضعيف، الناس ليست كما تظنين يا جميلتي فيها الشرير والطيب والحاقد والكاذب والصادق، فيها المخادع والمحتال في كلامه وفيها النقي أيضاً وخاصة الرجال وشبان المراهقة انتبهي منهم واحذري لا تتحدثي مع أحد منهم ولا تنجذبي لعلاقة مع أحدهم سيستعملون أساليب كثيرة للفت انتباهكِ لتقعين في هواهم وأغلبهم يلعبون فقط لأخذ غاياتهم من الفتيات ويتركونها بعد أن يحطمون قلوبهم هناك من لا يرضى على نفسه

أن يتاجر بمشاعر أحد ولكنهم قلة قليلة يا حسنائي الساحرة والحب بعمر العشرين ليس بكامل في الروح لأنكِ لم تجتازين مراحل الأنوثة الكاملة هل كلامي واضح يا ماسة....؟

- نعم يا هديل فهمت لا تتركيني أنا أكره زوجك لأنه يريد أن يأخذك مني بعد أن تعلقت روحي بكِ من سيكون معي....؟
- لا تقلقي سأتصل بكِ دائماً ولن تغيبي عن بالي لحظة فأنتِ نور العيون الفؤاد أريد منكِ أن تهتمي بنفسكِ جيداً وأمنا لا تهمليها فرضاها عليكِ باب سيفتح لحياتك السعادة الدائمة.
- أكيد يا هديل أكيد وعد مني لكِ.

وضمتها على صدرها وماسة تبكي بحرقة لفراق هديل لها وكانت تستمد منها احساس جميل يعوضها عما فقدته من رأفة والدتها المريضة.

مر شهر على خروج باسم من المشفى وماسة لم تتصل به ولم تغيب عن باله لحظة يريدها أن تحادثه فقرر أن يذهب إلى المشفى لرؤيتها وتحدث معها.

انتهى من عمله في القصر العدلي واتجه نحو المشفى ودخل إلى الاستعلامات وسأل عن ماسة فقالت له السكرتيرة أن عملها يبدأ الساعة الخامسة وينتهي عند الساعة العاشرة ليلاً.

قال لها: سأعود لاحقاً.

عاد باسم الساعة الخامسة والنصف وسأل عنها وأتت ماسة إليه لغرفة الاستعلامات فكانت مصدومة عندما شاهدته لم تتوقع أن يأتي لأجلها والسؤال عنها لأنها نسيته ولم تفكر به.

- مرحبا يا ماسة كيف حالك.....؟
- أهلاً وسهلاً الحمد لله أنا بخير وأنت....؟ ماذا تفعل هنا...؟

رد عليها وهو مرتبك كثيراً.

- أنا أنا بخير وصحتي جيدة.

- إذاً لم أتيت إلى هنا....؟
- لكي أطمئن عليكِ أنا معجب بكِ ماسة .... لما لم تتصلي بي.....؟
- شكراً جزيلاً لك ولكن رقم هاتفك ضاع مني ولا يوجد سبب للاتصال بك.
- سأعطيكِ الرقم مرة ثانية وأريد أنا رقمكِ إن أردتي.

احمر وجه ماسة من الخجل وصمتت قليلاً وهي تنظر يميناً ويساراً مرتبكة جداً ولم تشعر بنفسها إلا وأعطته رقمها وأخذت منه رقمه ورحل من أمامها وهي صامتة.

- سأتصل بكِ أنا عندما تنتهي من عملكِ مع السلامة.

خرج مسرعاً وهو سعيد جداً وهي ردت عليه بصوت منخفض جداً والصدمة والخجل يبدوان على وجهها.

- مع السلامة مع السلامة.
- ماسة ماسة أنا أكلمكِ ما بكِ ألا تسمعيني.

- نعم ماذا قلتِ لي ولم أسمع...؟
- قلت لكِ لما أنتِ واقفة هكذا هيا اذهبي إلى عملكِ وأنتِ لم تسمعي شيء
- أعتذر منكِ سأذهب عاجلاً.

ذهبت لعملها وهي تبتسم وتضحك بداخلها أنها لم تسمع السكرتيرة وهي تحدثها وكان قلبها ينبض بقوة شديدة وشعرت و كأنها عصفور يطير في السماء والعالم جميل ومبتهج واعتلت طوال اليوم فرحتها على ملامحها البريئة وزادت جمالاً ورونقاً وكانت تنتظر انتهاء عملها بفارغ الصبر لكي تتحدث مع باسم.

أتى وقت ذهابها إلى المنزل وعندما خرجت من المشفى رن هاتفها النقال فدق قلبها وكانت مترددة هل ترد عليه أم لا فردت بعد أن رن هاتفها كثيراً وتحدثت إليه ونشأت علاقة وطيدة بينهم هو يخبرها عن نفسه وهي تخبره عن حياتها فكانت ماسة أول اهتماماته فكان لا ينام حتى يسمع صوتها الرقيق ويستيقظ على

كلماتها الرهيفة كانا يعيشان ألحان من الحب الذي رفع روحهما إلى السماء لتبني به ماسة منزلاً لها وله وتحلم بأسرة صغيرة معه يتبادلان به الثقة والود والاحترام على مرافئ حياتهم الجديدة يشتعل فيها ضياء شمعة وتشرب من نهر الغرام الذي يتدفق في قلبه دفء وحنان وأمان وقعت ماسة في عشقه وذابت روحها بكلماته وتعلق كيانها بأسواره لمست به ومنه الطمأنينة التي تبحث عنها بجوف أسرتها كتبت اسمه على جدرانها فأصبح لها هو الحياة والنور والصفاء.

- صباحك سكر يا مدللتي.
- صباحك سعيد باسم.
- كيف حالكِ اليوم..؟
- الحمد لله أنا بخير.
- اشتقت لكِ كثيراً.

اعتلت شفتها ابتسامة انزلقت منها خجل وتنهيدة مليئة بالفرح.

- لم أنتِ صامتة...؟ أسمع صوت ابتسامة وأنفاس قوية.
- لا شيء أنا سعيدة بسماع صوتك فقط ووو
- ماذا ألم تشتاقين لي....؟ ما رأيك أن نلتقي اليوم قبل ذهابك إلى العمل...؟
- ولكن مممم.
- لا ترددي موعدنا بالساعة الرابعة عند حديقة الزهور القريبة من عملكِ اتفقنا...
- نعم اتفقنا مع السلامة.
- مع السلامة.
- انتظري.
- ماذا...؟
- انتبهي إلى نفسكِ كثيراً .... أحبك..
- تبتسم وتقول (حاضر مع السلامة)

وعندما حان وقت الموعد في الحديقة التقيا والجو كان بارداً والأوراق الصفراء تتساقط على الأرض من الأشجار التي تودع الأيام الباردة فجلسا على كرسي بقرب بعضهم وماسة خجولة وتلفتت برأسها يميناً وشمالاً تترقب المارين فأمسك يدها باسم وقال لها بكل حب :

- لما هذا الخجل يا ماسة...؟

تتلعثم وتقول

- أنت أول رجل أعرفه وأنا لا أعلم ماذا أقول لك في داخلي مشاعر كثيرة تريد أن تبوح لك عن احساسي المفعم بالغرام ولكنها خجولة ومتوترة فاعذرني لأنني لأنني.....؟
- ماذا قولي...؟
- سأحاول أن أتخلص من خجلي رويداً رويداً.

يبتسم ويقول لها:

- أريد أن تقولي أحبك فقط هذه تكفي يا ماسة لنا ثمانية شهور مع بعضنا ولم أسمعها بل شاهدتها بنظراتك وشعرت بها من خجلك وسمعتها من ابتسامتك.
- أنا أحبك يا باسم.
- وماذا تحبين فيني يا ماسة تكلمي...
- أحب فيك اهتمامك بي ولطفك وكلامك تعطيني أمل ودافع كبير كل ما سمعت صوتك.

يبتسم وتعتلي ملامحه اشراقة سرور كبيرة ويقول لها:

- وأنا أعشق فيكِ كل شيء.

تصمت وتخجل مجدداً وتتلون وجنتاها باللون الأحمر وترتبك فيضحك هو ويقول :

- عدنا للخجل يا ماسة هيا لنمشي قليلاً ونتحدث.
- فمرت الساعة وهما يتبادلان الكلام بين غزل وبين حوارات عما يحصل معها في المشفى وعن حياتهما معاً عندما يتقدم لخطبتها

قريباً وأوصلها إلى مدخل المشفى ورحل في هذا اليوم، ماسة شعرت بوصاله لتنفجر أمنية معلقة في دروب حياتها أن تتزوج من الرجل التي أحبت وتعيش لآخر يوم في عمرها معه.....

مضى الشتاء بكل تفاصيله وسحب معه الرياح العاتية وتنتهي قصة رائعة ولتبدأ أوجاع النهاية.

الفصل الثالث

" بداية ونهاية مؤسفة "

أتى الربيع بألوانه الزاهية وهوائه العليل وغيومه المتفائلة المتفرقة بين التلال والجبال وسمائه الصافية.

تدخل أشعة الشمس الشامخة غرفة ماسة وتوقظها من غفوتها وهي تتأمل جمالها الأخاذ فتفتح عيناها البحريتان اللون لتحضر قهوتها الصباحية وتطمئن على والدتها ويرن هاتفها وهي في غرفة الجلوس ظنت أنه باسم وليس هو إنها شقيقة العمر والروح هديل السمراء ذات العيون البنية الكحيلة والقلب الطيب.

ابتهجت كثيراً لاتصالها وهي تخبرها بأنها ستأتي بزيارة للبلد وهي حامل لتنجب طفلها الأول بين عائلتها وأنها اشتاقت لهم وستكون في المطار غداً صباحاً وطلبت منها أن تخبر يامن ووالدها لاستقبالها.

استعدت ماسة لاستقبال هديل مع عائلتها، ووالدتها التي كانت سعيدة جداً لرؤية ابنتها البكر التي اشتاقت لها كثيراً.

أما ماسة فكانت سعيدة وحزينة لأن حضور هديل في حياتها مجدداً سيجعلها قوية وكانت حزينة لعدم اتصال باسم بها وعندما تتصل به لا يرد عليها .

وفي بعض الأحيان يعطي هاتفه لمن بقربه ليخبروها بأن باسم مشغول جداً وسيعاود الاتصال بها لاحقاً.

فبدأت بحيرة من أمرها والتفكير والكآبة تملأ ملامحها وبريق عيناها يختفي ونبضها يتذمر وعقلها يفكر كثيراً لما يا ترى هو لا يجيب....؟

لم يعد يحبها .....؟

لم يعد يفكر بها ....؟

عاشقة تائهة بين أوراق الحب الذي زرعه في قلبها

هل يا ترى هو يتقصد تجاهلها أم هو مزعوج منها....؟

ألف سؤال وسؤال يدور في مخيلتها ولا يوجد جواب.

تتنهد وتترقب هاتفها بشغف لعله يرن وتسمع صوته يحدثها....!

وذهب يامن مع السيد عبد الكريم إلى المطار لاستقبال هديل، وبقيت ماسة مع والدتها وكاميليا التي أصبحت في عمر التاسعة عشر والشقيقة الصديقة لماسة التي ترافقها بمعاناتها وتقف بقربها وتساندها.

- صباحكم مشرق وجميل.
- هديل اشتقت لكِ كثيراً.
- (تهمس هديل بقوة) هديل هديل

تضم هديل شقيقتاها بشغف وتقبلهم وتدخل بعدها إلى أمها مسرعة وتقبل يداها وجبينها وتغمرها بسعادة وحب والسيدة ماجدة تبتسم وترتسم على ملامحها اشراقة وراحة كبيرة وعيناها تدمعان.

- اشتقت لكِ يا أمي أنتِ بخير ....؟

تبسمت ماجدة وهزت برأسها بإيحاء نعم إنها بخير

- هيا يا هديل ارتاحي لنأكل سوياً أشقائك يحضرون طعام الفطور.
- حاضر حاضر يا والدي ساعدني لنأتي بأمي لغرفة الجلوس لتكون معنا.
- أكيد هيا.

جلست العائلة تأكل وهي في غاية السرور بوجود هديل معهم ولكن ماسة شاردة تحاول أن تبتسم والظنون والأفكار تأتي وتذهب في رأسها رغم كل شيء تفعله لتخفي ما يزعجها ولكن هديل انتبهت لنظراتها السارحة وعدم مشاركتها لهم الحديث كما السابق فشعرت ماسة أن هديل أحست بها فهربت إلى غرفتها مسرعة وأمسكت هاتفها وهي متلهفة لاتصال باسم فقالت هديل بينها وبين نفسها

- ماذا تخفين يا ماسة ولما نظراتكِ تبحث عن شيء لم أفهمه....؟ بعدما يذهب يامن ووالدي سأتحدث معها....

دخلت كاميليا المطبخ لتنظف الصحون وذهب يامن لعمله والأب جلس مع زوجته قليلاً فأعدت هديل القهوة وذهبت بفنجان قهوة إلى الغرفة ووجدتها تمسك هاتفها وهي تنظر إلى السماء من شباك الغرفة.

- لم جميلتي حزينة وصامتة عندما كنا مجتمعين....؟ أين ماسة التي تملأ المنزل بهجة بضحكتها المدهشة وصوتها الرقيق....؟
- أرجوكِ يا هديل لا مزاج لي بالحديث والضحك دعيني وشأني قليلاً.
- ألستِ سعيدة برجوعي ماذا يحصل تحدثي.....؟
- نعم أنا سعيدة ولكن هناك شيء ما.
- أخبريني أنا شقيقتك الكبيرة إن كان لديكِ مشكلة سأساعدك لحلها

- نعم نعم آه يا هديل أنا أتعذب.

ترتمي على صدر هديل وتخبرها بما حصل وهديل تسمع وتلوم ماسة، وتحاول أن تقنعها أن هذا الشاب لا يحبها وأنه كاذب ومخادع وأنها لم تخطء عندما قابلته آخر مرة وعليها أن تفرح وهروبه منها شيء طبيعي لشاب يتلاعب بالفتيات ولا يخاف الله عز وجل.

ولكن ماسة تسيطر عليها مشاعر أخرى لم ولن تستطيع هديل أن تفهمها، أحاسيس أقوى من الكون يسكن في أعماق قلبها تمتلكها وتدفعها للتفكير به في كل لحظة حتى أحلامها التي كانت تعطيها تفاؤل لم تعد تأتيها كما السابق.

أخرجت منديلاً ومسحت لها دموعها التي تنهمر بحرقة.

- ألا تريدين الذهاب إلى العمل.....؟
- لا لن أذهب اليوم طلبت إجازة لأجلكِ لأقضيه معك غداً سأذهب بإذن الله

- جيد هيا إذاً لنجلس مع والدتنا ولكن ابتسمي لا تظهري لها ما يحصل معك
- أكيد أكيد.....

قضت ماسة يومها مع شقيقتها الكبيرة وأخبرتها بتفاصيل علاقتها مع باسم وهي سعيدة لأنها وجدت من تخبره بألمها وما يدور في فكرها فارتاحت كثيراً وعادت لها ابتسامتها وشعرت بالأمان الداخلي.

وفي صباح اليوم الثاني خرجت مع هديل وكاميليا ووالدتها إلى الحديقة بنزهة ليقضون يومهم مع الطبيعة..

وعند غروب الشمس عادوا إلى المنزل وجهزت نفسها ماسة للذهاب إلى العمل وهي تتأمل أن يتصل بها باسم وعند دخولها المشفى كانت هناك حالة اسعافية فدخلت مسرعة بدلت ملابسها وهمت بنشاط إلى غرفة الطبيب لتساعده وكانت لسيدة ثلاثينية حامل وولادتها مستعصية لأن الرحم فيه انقباض بسبب الحوض

بسبب الانسداد جسدياً فكان الطبيب في حيرة من أمره من الولادة المتعسرة فقرر أن يجري لها عملية قيصرية عاجلة فشاهدت ماسة زوج السيدة يبكي فاقتربت منه لتواسيه وتخفف عنه.

- مرحبا اهدأ لا تخف زوجتك ستكون بخير وبحالة جيدة الطبيب يعمل على إنقاذها وستلد وتكون بخير لا تقلق.
- أرجوكِ أخبريني هل هي بحالة صحية جيدة ولما تتألم كثيراً ومنعوني من رؤيتها وأدخلوها للعناية المشددة قبل غرفة الولادة.
- لا لا هم فقط يريدون أن يجرون لها بعض الفحوصات اللازمة لا أكثر والآن أنزلوها لغرفة الولادة ستكون بخير اطمئن فقط ولا عليك.
- شكراً شكراً يا آنسة ما اسمك؟
- ماسة وإن احتجت لأي شيء أخبرني اتفقنا سأهتم بها بنفسي بعد أن تخرج من غرفة الولادة لغرفتها الخاصة.

- ممتن لكِ يا ماسة أنا اسمي سعيد تشرفت بمعرفتك.
- وأنا أيضاً، بعد ساعة ستشاهد زوجتك والطفل الصغير بخير عن إذنك الآن لديّ عمل.

ولدت زوجته بنتاً جميلة بعد أن أنقذ الطبيب الأم والطفلة وجلست في غرفتها وماسة كانت المسؤولة عنها وعن الطفلة فاهتمت بها كثيراً فنشأت علاقة قوية بينهم مع السيدة دانا وزوجها سعيد وبعد مرور أسبوع من الزمن تخرجت السيدة دانا مع طفلتها يرافقها زوجها سعيد.

- اليوم سنخرج من المشفى يا ماسة وأنا لن أنسى اعتنائكِ الكبير بي وبطفلتي سأعطيكِ رقم هاتفي زورينا وإن احتجتِ لشيء ما لا تتردي بالاتصال.
- هذا الأمر يسرني أكيد سأزوركم وأتصل لأطمئن عليكِ وعلى الصغيرة وسأشتاق لكم كثيراً حمداً لله على سلامتك وحفظ الله لكِ زوجك وطفلتك الجميلة.

- وحفظك الله يا ماسة وأسعدكِ دائماً وشكراً جزيلاً.
- لا تشكريني فهذا عملي وعليّ أن أقوم به بضمير وتفاني وأمانة.
- سعيد ينتظرني في مكتب الاستعلامات.
- سأوصلك للخارج هيا.

ومرت ثلاثة أسابيع وماسة تنتظر اتصال باسم ولم يتصل فقررت أن تذهب لتراه وتتحدث معه شخصياً.

فانطلقت عند الصباح الباكر تنتظره بالقرب من منزله لتتحدث إليه عندما يخرج لعمله وقفت عند موقف قريب من الحي وبعد نصف ساعة من الوقت لمحته يقترب من الموقف فشاهدها واندهش كثيراً عندما رآها تنتظر بالقرب من منزله واقترب منها وهو منزعج والغيظ يملأ قلبه وعقله منها أما ماسة فكان قلبها يدق مسرعاً ويداها ترتجفان وعيناها تنظر له بخوف وعندما أصبح بينهما خطوة واحدة نظر لها بنظرة حدة وقال لها:

- ماذا تفعلين هنا يا ماسة هل جننتِ....؟

- أتيت لرؤيتك! لما لا تتصل ولا تجيب على رقمي عندما تشاهده قلقت عليك هل أنت بخير....؟
- لا أريد أن أتحدث معك بعد اليوم هيا اذهبي من هنا ولا تتصلي وتتعبي نفسك لن أرد على اتصالاتك المزعجة من دون سبب
- لماذا يا باسم أين الحب ووعودك لي والحياة التي رسمناها سوياً....؟
- ربما أنتِ لا تسمعين ما قلت هل جرى لعقلك شيء....؟ لا تنظري لي هكذا أنا لم أعدكِ بشيء ولا أحبك اذهبي.....!

فانصرف باسم من أمام ماسة وهي تقف مأخوذة من كلامه المهين ومصدومة والحزن ارتسم على ملامحها والدنيا تدور بها وتصفعها لتصحو من صدمتها كيف لرجل بألف وجه تارة طيب وتارة شرير وتارة كاذب وتارة صادق (أن يصنع حباً بقلب فتاة ويشتل حقولها بتلات وينام مرتاح الضمير إن لم يكن شيطاناً خبيثاً له ألف وجه ووجه).

فعادت أدراجها إلى المنزل مكسورة القلب كأنها جنين سقط من رحم أمه قبل ولادته لأن الحبل السري انقطع عنه ومات لا يستطيع أن يتنفس ولا أن يتغذى فقد الأوكسجين الذي يتدفق إليه ففارق جسده وتلاشت مطالبه إلى قعر معتم يسوده غسق كاحل لا يرى الضياء.

دخلت منزلها ولم تلقِ تحية على أحد استلقت على سريرها وغطت رأسها لكي لا يراها أحد أنها تبكي وحاولت كتمان صوت أنينها وكانت تقول أنها تتألم من رأسها كثيراً لمن يسألها من شقيقاتها هديل وكاميليا ولم تذهب إلى عملها وبقيت تتنقل في غرفتها فقط مدعية التعب فخطر ببالها زوجة سعيد السيدة دانا لتزورهم وتخبرهم بما حصل معها وعند الصباح الباكر خرجت إلى منزل السيدة دانا وجلست معها وأخبرتها بما حصل بتفاصيل وطلبت منها السيدة دانا أن تبتعد عنه وتنساه لأنه انسان مذبذب ومنحط

أخلاقياً ولا يستحق حبها وقلبها النقي وأن هناك أفضل منه بألف مرة وأن تهتم بنفسها وبوالدتها وأن تكمل دراستها.

ارتاحت ماسة لحديث دانا وعادت لها ثقتها المعتادة وقررت أن تنهي باسم من حياتها وتكمل دراستها وتصبح طبيبة ناجحة.

بدأت تحاول النسيان وعادت إلى عملها والأحلام التي تنسجها في عقلها وأن تقذف هذه التجربة في البحر ليأخذها الموج بعيداً إلى ما وراء الغروب إلى الماضي الذي أغلقت عليه الباب ورمت المفتاح في القاع لكي لا تعود له مجدداً.

مرت عشرة أيام بعد لقائها الأخير بباسم وهي تعيش بهدوء وسلام داخلي ولكن حدث شيء لم تتوقعه ماسة أن يحصل أعادها للسطور القديمة التي حذفت منها ما أزعجها وآلمها وكتبت عليها عنواناً وتاريخ وكلمات جديدة لتحذف ما دونته بأول السطر لتكتب عنواناً لمعركة نفسية ومصيرية.

وماذا ينتظرها من بداية ونهاية مؤسفة...

في يوم مشمس بعد أن مرت عدة أسابيع كانت الساعة الثانية عشر ظهراً طرق باب منزل ماسة فهمت هديل لفتح الباب وقالت:

- من أنت....؟
- أنا الشرطي تبليغ افتحي الباب لو سمحتِ (فتحت الباب مندهشة)
- من أنت....!
- اها أهلاً وسهلاً من تريد ولمن التبليغ...؟
- شكراً التبليغ لفتاة اسمها ماسة.
- ماذا هل أنت متأكد....؟
- نعم متأكد أين هي لو سمحتِ سيدتي....؟
- سأخبرها انتظر هنا قليلاً

ذهبت ماسة مع هديل إلى مخفر الشرطة وعلمت أنها ستبقى لديهم بعد أن يذهب الضبط إلى النيابة العامة وأخبرها لعدم

كفاية الأدلة سيتم الإفراج عنها ولكن بعد أن يأتي الضبط من النيابة العامة فبقيت هديل وماسة هناك.

وماسة شبه منهارة ودموعها والدعاء لربها أن يكون معها لم يتوقف.

وأتى الشرطي ومعه قرار الإفراج عنها فشكرت ماسة العميد للطفه وأخلاقه العالية وقدم لها النصح أن تستشير محامي لربما هناك ستكون هناك دعوى قائمة ضدها من المحامي باسم بجرم تهديد بالقتل والازعاج خرجت ماسة متعبة ورأسها يؤلمها من الصدمة والتفكير وقواها تنهار وهديل صامته وعندما وصلتا إلى المنزل قالت لها هديل.

- لن أخبر والدك الآن يجب أن نجد حلاً وبسرعة والدتك إذا علمت ستتعب وربما تتراجع صحياً ألم أقل لكِ أن لا تنجرفي مع أي شاب حتى لو كان صادق انظري ما حصل سيدمر لكِ حياتك هذا الرجل الأحمق الذي لا يخاف الله.

ماسة تبكي فقط والدنيا سوداء في عيناها ودخلتا المنزل وتوجهت مسرعة لغرفتها وهديل أخبرتهم بأنها تتألم من تقلب الطقس ورأسها يؤلمها فهي مصابة بالزكام ومضى يوم صعب كثيراً على ماسة وهديل التي لم تنام طيلة الليل وهي تفكر وتفكر بما حصل وسيحصل وأنها بعد شهرين ستسافر ولمن ستترك ماسة وأنها قلقة عليها وكيف ستساعدها قبل رحيلها.

وعند الصباح الباكر اتصلت ماسة بزوجة سعيد السيدة دانا وأخبرتها بما حصل فأخبرت بدورها سعيد الذي غضب كثيراً وطلب رقم ماسة ليراها ويأخذها لصديق له محامي ليقف بجانبها والدفاع عنها وأنه سيخبر والدها وشقيقها ليكونوا عوناً لها وعندما حل المساء أتى سعيد لزيارة والد ماسة وهو في حيرة من أمره كيف سيبدأ وبأي كلام سيبوح لهذه الأسرة الراقية التي لم يحدث في مدارها ثقوب سوداء لأنها مثالية.

ما الذنب الذي ارتكبته هذه الفتاة أنها أحبت بصدق ووثقت بإنسان سنعلم فيما بعد أسباب ادعائه على روحها النظيفة التي لا تعرف الغل والحقد والكره والخداع.

شرب قهوته وأخبرهم بكل شيء فصمت الأب ونظر إلى أعالي غرفة الجلوس وهو رافع رأسه فخوراً بابنته وليس بساخط وطلب من سعيد أن يكون معها وأن تذهب معه إلى صديقه المحامي تامر للدفاع عنها وتوكيله قانونياً.

ماسة كانت سعيدة من ردة فعل والدها واحتضنته وزرفت دموعها واعتذرت منه وقبلت جبينه ويداه بحرارة وهو احتضن ابنته وقال لها بكل ثقة.

- أنا معك يا ابنتي لن أتخلى عنك أبداً أنتِ رائعة وبريئة وستنتصرين.

وبعدما ذهب سعيد طلب السيد عبد الكريم من الجميع عدم إخبار يامن بما حصل لخوفه على ماسة منه وغضبه على الرجل المدعي عليها.

كان باسم في هذا الوقت مع صديقته سالي يتحدث معها عن الدعوى وأنها ستكون شاهدة معه ضد ماسة وسلوى تشجعت كثيراً للموضوع وخاصة أنها تريد أن تبعد ماسة أكثر عن باسم وأن تخلق بينهم عداوة لأنها تحبه وتريد الزواج منه لطالما حدثها باسم عن ماسة وعن حبه الشدي لها ولكنها تساءلت عن سبب أذيته لها ولم يعطيها جواب مقنع ويتهرب.

والشاهد الثاني هو المستخدم في المكتب الذي يعمل به باسم كمحامي أعطاه المال ليشهد معه بأنه سمع ماسة وهي في المكتب وتهدده بالقتل وإنها ستدمر حياة المحامي باسم.

مرت بضع أيام وتواعد سعيد مع ماسة للذهاب سوياً إلى المحامي تامر بعد الانتهاء من عملها..

- يومك سعيد أستاذ تامر.
- أسعد الله مساءك أنت وضيفتك.
- مساء الخير أستاذ.
- تفضلوا بالجلوس لنشرب القهوة سوياً ونتحدث.. يا محمود حضر لنا القهوة للآنسة وسيد سعيد.
- لا داعي لإهدار الوقت يا أستاذ الآنسة ماسة لا تستطيع أن تتأخر عن منزلها.
- ولكن أنت لست زبون وأنا اشتقت لك يا سعيد منذ مدة طويلة لم أراك عندي هنا في المكتب وسنبدأ بالموضوع يا آنسة ماسة. أخبرني سعيد ببعض المجريات على الهاتف ولكن أريد أن أفهم منك بعض الأمور التي حدثت لا أكثر وسأتوكل عنك بإذن الله ولكن كوني صريحة وصادقة بجميع التفاصيل تفضلي.

تحدثت ماسة بكل وضوح وصراحة للمحامي تامر وكانت تعتلي ملامح تامر والاستغراب مما سمع وبخبرته كمحامي شعر بالظلم من نبرة صوت ماسة وملامحها الصادقة.

- فهمت فهمت لا تبكي يا آنسة ماسة سأقف بجانبك وتظهر براءتك ولا أريدك أن تكوني ضعيفة اهدأي وقاومي وكوني كما أنتِ ومارسي حياتك اليومية من دون أي منغصات.
- شكراً لك أستاذ تامر أنا ممتنة لكلامك المحفز.
- مشكور جداً يا تامر أنت شقيق وصديق قديم وأريدك أن تعتبر ماسة التي أعتبرها شقيقتي مثلي تماماً الموضوع أصبح عندك الآن ولنتكل على الله وعليك.
- لا عليك يا سعيد الموضوع هنا سينتهي بإذن الله ولكن المخاصمة ضد محامي تحتاج إلى الوقت ولكن ليس بطويل غداً صباحاً سأذهب إلى النقابة لتقديم طلب الإذن وبعدها عند

الساعة الثانية عشرة ستأتي ماسة إلى القصر العدلي لنقدم الوكالة عند كاتب العدل اشربا القهوة ستبرد.

ضحكوا جميعاً وابتسمت ماسة وأحست بالسكينة وكأنها تشاهد جبل الجليد تذوب من عليه الثلوج وتنبت على قمته الأشجار الخضراء لتعلن اشراقتها بأمل لبداية ونهاية بالهناء والمرح.

- نحن ذاهبون طاب يومك بالسعادة يا تامر.
- مع السلامة أستاذ تامر.
- ستأتون مرة أخرى وغداً موعدنا يا ماسة وهذا رقمي مكتوب على البطاقة رافقتكم السلامة.

خرجت ماسة مع سعيد من مكتب تامر الذي أعطاها جرعة من الطاقة الإيجابية من كلامه المفعم بالتفاؤل وهي نشيطة وقلبها وعقلها يخبرانها بأنكِ ستجتازين هذه المحنة بخير وسلام.

الفصل الرابع

" النهوض من الظلم "

أيام تمر وأيام تبدأ في حياة ماسة تشعل في كل ليلة من لياليها شمعة بيضاء تستلهم من نورها أنفاساً ليوم تطمح فيه بمسرة ونعمة لتطرح عنها الضجر واليأس وهي تنتظر فك قيودها المعلقة مع مصير لا تعلم عنه شيء ولا تدري ماذا سيحصل هل ستنجب لها أيامها جنة تعيشها وهي بخير أم ستأتي لها بكابوس أسود يحتل أركان لحظاتها ليجعل من كل شيء مظلم وبائس لن يشعر بالظلم والجور على النفس إلا من عاش في دوامتها وذاق مرارة احساس أنك تدان على أفعال لم تفعلها لتنظر لك عيون البشر أنك المذنب وأنت من أذنب بحقك ولم ينصفك أحد.

هل يا ترى ستكون محاكمة البشر في الدنيا عادلة وتظهر الحقيقة أم عدالة السماء ستبقى هي الحكم بقانون الصدق والحق....؟

ومهما حاولنا أن نكون عادلين لن نكون كما يحاسب الرب الروح والعقل والقلب.

حان موعد الجلسات في المحكمة وكانت ماسة على استعداد تام هي ومحاميها تامر ومعهم هديل وكاميليا وسعيد وعلمت بهذا اليوم ماسة أن هناك شهود ضدها وطلب الأستاذ تامر تأجيل الجلسة للرد على الشهود ولكنه كان يوم قاسي على ماسة ومن معها عندما سمعت أقوال الشهود الكاذبة وافترائهم عليها ونظرات الخوف الظاهرة على ملامحهم منها. أما باسم فقد كان ينظر لماسة بحقد وغل ومكر وخاصة عندما شاهد زميل له يقف بوجهه ليدافع عنها وأنه شاب وسيم الشكل وذو سمعة طيبة وأخلاق رائعة، شاهد نظرات الاهتمام منه لماسة واحتوائه لها بكل معنى الكلمة.

خرج الجميع من المحكمة وطلب تامر من ماسة زيارته للمكتب ليتحدثان بشأن الشهود وكيفية الطعن بأقوالهم الكاذبة

باسم كان يشتعل، بداخله نيران الغيرة والقلق لا تجعلان النوم يأتي كل ليلة إلى عيناه وهو يفكر بما سيحصل وأن عليه أن لا ينسحب أو يخسر.

وعندما حل المساء ذهبت ماسة مع والدها إلى مكتب المحامي تامر ودار الحديث الذي قطع الشك باليقين في عقل تامر لتبدأ مرحلة الدفاع القانونية لصالح ماسة

- أهلاً وسهلاً تفضلوا بالجلوس.
- شكراً أستاذ تامر.
- مساءك خير وسعادة أستاذ وشكراً للطفك وذوقك.
- أريد أولاً أن أسمع من ماسة بعض الأمور المتعلقة بالدعوى والشهود وبعدها سأخبركم ما سأفعل....!
- تفضل أستاذ وأنا أريد اخبارك بأشياء مهمة عن الشهود.
- أسباب الدعوى الكيدية الخفية هي الحب المرضي بداخل باسم هو رجل غير سوي عقلياً ويعاني من عقدة، أخبرت صديقي

المختص في مجال علم النفس وحلل لي حالته بدقة وهو الاضطراب النفسي العاطفي لما حصل بينه وبين ماسة تتسبب له بوساوس أن ماسة سوف تقوم بأذيته وعليه أن يوقفها قبل أن تقوم بذلك. وطبعاً هذا الوهم موجود فقط في عقله رغم يقينه بأنها لن تقوم بذلك ولأنه شاهد فتاة نظيفة لم ترضخ له فتعامل معها على أنها أنثى وعليها أن تقول نعم فأراد أن يحطم بقدر من المستطاع من يحب لكي لا تعيش كما تريد وفي نفس الوقت في مخيلته أنها ستلحق به الأضرار وغالباً أنه كثير الشك والخوف وهذا ناجم عن شيء ما حصل معه منذ الطفولة طبعاً حالته تشخص بدقة عندما يشاهده الطبيب النفسي. نحن نتعامل مع رجل قانون يعلم ماذا يفعل.....؟

ولهذا السبب سأكتب مذكرة دفاع تبرأ ماسة ولكن بعد أن تجيبني على هذه الأسئلة، ماسة من فضلك.

- نعم أستاذ تامر تفضل.

أجابت ماسة على تساؤلات المحامي تامر وقضت ساعة ونصف وهم في حديث مشترك يضعون النقاط على الكلمات التي ستكتب على سطور الحياة القادمة لتضع حداً لباسم وتنتهي منه ولكن ما هي تلك الحقائق....؟

- هل ستظهر بها البراءة أم ستدان ظلماً على شيء لم تفعله....؟
- في أيامنا المقبلة سنعلم. لهذه الدرجة أصبح الحب الذي خلقه الله رحمة وسلام ومودة بين البشر النقمة والذنب والعقاب أم أن الاختيار لمن نحب هو درس لكي نتعلم وأن لا ننجرف بسرعة ولنفتح أعيننا جيداً ونبصر بقوة.

عادت ماسة مع والدها إلى المنزل لتنام وهي حائرة ومضطربة والقلق يحتل أفكارها، جلست مع عائلتها قليلاً ودخلت غرفتها لتنام فاحتضنت وسادتها وغفت وعندما أشرق صباح يوم جديد جلست مع شقيقتها هديل لتخبرها أنها ستسافر وأن موعد عودتها

لزوجها اقترب كثيراً، وبينما العصافير مشغولة ببناء عشها الصغير والحمام يصيح بصوت الهديل.

جلست ماسة وهديل على الشرفة يشربان القهوة وعيون هديل تقول الحزن الكبير لفراقها الكبير لأهلها وشقيقتها التي لم تعلم ما سيحل بمصيرها مع رجل لا يعلم ما معنى الحب وأنه ارتكب جرم كبير لا أساس له إلا في عقله الصغير.

- أجمل صباح هو صباحك يا ماسة.
- وأنتِ أروع شقيقة.
- أعددت لكِ القهوة.
- سلمت يداكِ وشكراً.
- أنا مسافرة بعد أسبوع يا ماسة ولكن عقلي وقلبي سيبقى هنا أريد منكِ وعداً لن تخلفين هذا الوعد.
- نعم تفضلي يا هديل أنا أعدكِ وأعاهدكِ على الوفاء على ما تريدين.

- لا أريد أن تفعلي ما أريد وأنتِ غير مقتنعة القناعة أهم من الوعد والوفاء بما سأطلبه منكِ أكبر من كل شيء عيشي حياتكِ كما تريدين ولكن حافظي على نفسك واجعلي من أخطائكِ وأخطاء غيركِ درس لا يكرر وعلامته النجاح لنجتاز ما حصل بقوة وزكاء وثبات واستحقاق الأفضل دائماً لا تعطين ثقتكِ لأحد إلا بعد أن تعلمين ما يريدون منكِ واذهبي وقدمي أوراقكِ على ثانوية عامة لتصبحين طبيبة كما تريدين أنتِ زكية وستنجحين لا أشك بهذا مطلقاً استمري هل تعاهديني على ما قلت....؟

- نعم أعاهدكِ يا هديل.

وضمتها على صدرها بعدما عزفت لها هديل لحن من التفاؤل لتستمر إلى اليوم التالي ذهبت ماسة لتقدم أوراقها لشهادة الثالث الثانوي العام الفرع العلمي وأقدمت على معهد تقوية في الدروس وعادة فتحت دفترها وكتبت مستقبل جديد

في أول صفحاته وعلى أول السطر النهوض من الظلم وبعد مرور ثلاثة أسابيع حان وقت الجلسة التي سيقدم بها المحامي تامر مذكرة الدفاع للطعن بكلام الشهود وصلت ماسة قاعة المحكمة هي بكامل ثقتها وأناقتها يرافقها محاميها تامر قدما مذكرة الدفاع وينتظران حضور باسم وبعد حضوره صعق باسم بمذكرة الدفاع التي قدمها خصمه والتي تثبت كذب الشهود.

المستخدم أبو فراس قال أن ماسة كانت تتصل بباسم على مكتبه ويقوم بالرد عليها وأنها تلاحقه كثيراً بقدومها إليه وماسة لم تقوم بزيارة مكتبه ولا مرة فقدم المحامي تامر بكشف أرقام للهاتف وتبين أنه لا يوجد ولا رقم يخص موكلته وأن المستخدم أبو فراس لا يتواجد إلا بعد الساعة الخامسة وفي هذا الوقت تكون ماسة في عملها كل يوم وهناك شهود وسجل حضورها في المشفى التي تعمل بها كممرضة.

أما سالي الشاهدة الثانية لم تشاهدها ماسة ولا مرة وأنها كانت خارج البلاد بالفترة التي كانت ماسة تعرفت بها على باسم.

وأبرز المحامي تامر ورقة تثبت حضور سالي إلى البلاد من بلد مجاورة بعد ضبط الشرطة فكيف لها أن تسمعها بعد تقديم الادعاء الكاذب والكيدي من صديقها باسم....؟

فطلب المحامي باسم استمهال للجواب وهو يتخبط داخلياً والجنون سكن عقله والغضب احتل كيانه والغيرة ملأت قلبه من تامر الذي يلتف باهتمامه وجوارحه ماسة فشب بداخله كراهية له ممزوج بغيظ يغلي وسينفجر.

وبعد أن تأجلت الجلسة خمسة عشرة يوماً لرد باسم على تامر خرج باسم من المحكمة متجهاً إلى الحديقة التي كانت تجمعه مع ماسة بأيام صافية وعالم آخر عاشه معها وجلس على أحد مقاعدها يتذكر ويفكر وعيناه تشع بخليط الحب والكره وبدأ يشعر أن ماسة

بعيدة عن يداه مثل القمر الذي في السماء الجميع ينظر له ولكن لا أحد يستطيع أن يطاله.

البغضاء تسيطر عليه فقادته قدماه لمنزل ماسة وهناك حصل الآتي.

- مرحبا يا عم.
- أهلاً وسهلاً تفضل.
- أريدك أن تدلني على يامن الذي يقطن في منزل السيد عبد الكريم.
- يامن على ما أعتقد سيخرج لعمله بعد ساعة دخل منزله من قليل وهو يعمل مساءً أيضاً.
- شكراً لك يا عم سأنتظره هنا داخل سيارتي وعندما تشاهده دلني عليه رجاء.
- حاضر حاضر ولكن هل هناك شيء ما فعله يامن فهم عائلة مستقيمة وراقية جداً...؟

- لا لا يا عم لدي له أمانة أريد أن يأخذها.
- طيب وما المانع أن تصعد إليه لتؤدي الأمانة.
- يا عم طلب مني أن يأخذها من دون معرفة عائلته
- مممممم طيب انتظر....؟

انتظر باسم يامن وصاحب السوبرماركت لم يقتنع كثيراً بحديث باسم ولكنه لا يريد التدخل أكثر وسيشاهد ما سيحصل عندما يخرج يامن من منزله ومرت ساعة وربع من الوقت ظهر يامن.

- يا بني هذا هو يامن يرتدي قميصاً أزرق.
- شكراً يا عم شكراً
- فهرول بسرعة إليه وأوقفه.
- مرحباً أنت يامن.
- نعم نعم أهلاً تفضل.
- أنا المحامي باسم الذي ادعيت على شقيقتك ماسة في المحكمة.
- ماذا تقول....؟

- هههههه ألا تعلم ما حصل.....؟
- لا ولم أفهم ما تقول.....!
- أنا كنت على علاقة مع شقيقتك ماسة وهددتني وقدمت ضدها بشكوى والجلسات قائمة بيننا وكلت محامي سافل يريد أن ..... ألم تفهم؟

صمت يامن من الصدمة والشر مرسوم على ملامحه.

أما باسم فهرب من قربه بعدما أخبره ليختلق المشاكل والتوتر بينه وبين تامر وماسة.

دخل سيارته وقادها مسرعاً واختفى وهو يضحك.

فعاد يامن أدراجه وصعد إلى منزله مسرعاً فتح الباب متجهاً لغرفة ماسة والغضب يبدو على وجهه وقف ينظر لماسة وسألها من المحاميان باسم وتامر؟

تفاجئت ماسة من أخبره فارتبكت وقالت له:

- من أخبرك هما هما ..... لا أعلم.

- هيا تكلمي ولا تكذبي بشيء فأنا أعلم الحقيقة كاملة.....؟

بقيت صامته من خوفها من يامن ونبرته الحادة بسؤال فلم تجيب عليه فانهال عليها بالضرب على جسدها وهو يشتمها ويهينها فهرعت كاميليا إلى الغرفة لتبعده عنها وأخرجته من الغرفة وأقفلت الباب على ماسة واتصلت بوالدها ليأتي ويدافع عن ماسة.

جلس يامن في غرفة الجلوس رأسه نحو الأرض يحني ظهره بما علم به وأعصابه ترتجف يريد معرفة الحقيقة يريد أن يفهم هل ما حصل بصحيح أم هو كذب.....؟

وهنا دائماً نرى مشهد الشاب الشرقي الذي يريد أن يثبت رجولته بالعنف والضرب والإهانة من دون أن يعلم إن كان ما قيل ويقال وسيقال صحيح أم تزوير وتلفيق.

لمجرد كلام تعود عليه مجتمعنا الشرقي بأن يضع الفتاة في خانة المذنبة والرجل مهما فعل المحكوم عليه دائماً بالأمل هنا نرى غطرسة الشقيق الذي تحتله عقدة الأنا ومن بعدي الطوفان

نرجسية موجدة في داخل أغلب الشبان ولكن بطلتنا كان شقيقها مبرمج عقله على أن الأنثى عبداً لا يخطأ ولا يحق له أن يتحرر من القيود التي نسجت في عقول بعض البشر بما تسمى العادات والتقاليد التي أراها في أغلبها شبكة عنكبوت تحبس أفكار الفتيات بمفاهيم قديمة إن فتشنا في تاريخها سنجدها من اختراع بني البشر والمتخلفين لا علاقة لها بالأديان السماوية بما فيها من قيم وإنسانية ورحمة منذ آلاف السنين....!

أتى والد ماسة مسرعاً ودخل منزله منفعلاً فوقف يامن وصرخ بوجه والده:

- ماذا يحصل.....؟
- فكان الجواب هو صفعة على وجه يامن جعلت وجنته حمراء اللون فخرج من المنزل وقال أنه لن يعود.

وماسة مستلقية على سريرها تتألم من ضرب يامن فاحتضنها الأب الحنون وطلب منها أن تسامح شقيقها وأن تكون قوية وأنه سيخبره بكل شيء عندما يعود

ومرت الأيام وأتى يوم الجلسة التي سيقوم بها باسم برد بمذكرة جواب لإقناع القاضية أن ماسة مدانة ولكن القاضية واقتنعت جداً بمذكرة الدفاع من قبل المحامي تامر.

فطلب باسم التأجيل ولكنها رفضت لأن ادعائه لا دليل عليه إلا شهود ثبت أنهم كاذبون فأقفلت باب المرافعات وتأجلت الدعوى للتدقيق والحكم عشرون يوماً لتفصل الدعوى وتنتهي.

تسع شهور من العذاب لفتاة تشبه بجمالها الياسمين وطيبتها رائحة الليمون عندما يبشر بالضياء ليصبح شعاع وببريقه يتحول إلى شجن تاريخه غيث من الحنين.

شعرت ماسة أن كابوسا أسوداً بدأ يزول من حياتها وثابرت في دراستها لتحصل على معدل عالي يدخلها كلية الطب ونشأت

علاقة روحية قوية بنصائح بينها وبين المحامي تامر الذي كان يشجعها على الدراسة والاستمرار.

ولكن قبل موعد النطق بالحكم بأربعة أيام والدة ماسة حالتها ساءت كثيراً فنقلت إلى المشفى وكانت ماسة في المركز التعليمي تحضر دروسها وأخبرتها كاميليا فتركت درسها وذهبت إلى المشفى مسرعة وهناك دخلت إلى غرفة الانعاش وشاهدت والدتها وهي بحالة ميؤوس منها كثيراً فأمسكت بيديها وقالت لها.....

وهي حزينة:

- أماه لا أريدك أن تكوني ضعيفة هيا انهضي وعودي كما كنتِ سابقاً عندما كنت طفلة لتلبسيني ثيابي وتحضري لي الطعام لتوجهيني إلى الرشد لتوبخيني وتصفعيني إن أخطأت لتحضنيني وتقبليني عندما أدرس وأثابر في مدرستي لتكوني بقربي عندما أمرض هيا هيا أرجوكِ لتشاهديننني عروساً وطبيبة وترقصين لفرحي هيا يا حناناً حرمت منه ولا أريد أن أفقده

فقبلت ماسة يدها وخرجت وهي تذرف دموعها والخوف والقلق بداخلها أن هناك شيء سيحصل ومر يوم على وجود والدة ماسة في المشفى وفي الصباح الباكر استيقظت ماسة على صوت كاميليا تصرخ وتبكي وتقول:

- أمي رحلت إلى السماء ماتت ماتت يا ماسة.

ذهلت ماسة من الخبر وركضت مسرعة إلى الغرفة التي فيها والدتها شاهدت أمها ملفوفة ولا تتحرك والأطباء قالوا لها أنهم حاولوا معها بصدمات كهربائية ولكنها ماتت بسبب نزيف حاد في الكلية وفعلوا ما باستطاعتهم لإنقاذها ولكن ماسة صرخت بصوت وصل مداه إلى الكون.

- أعيدوها إلى الحياة حاولوا مرة أخرى أمي لم تموت مستحيل.

بعد أن صرخت غابت عن الوعي ووقعت على الأرض مغمى عليها من الصدمة التي أصابتها بانهيار عصبي شديد ونقلت إلى غرفة الإسعاف والسيد عبد الكريم متعب يحضر لمراسم الدفن

ولأن يامن لا يجيب على أحد من شقيقاته اتصل والده بصديقه الذي يقطن لديه وطلب منه إخباره بوفاة والدته أما هديل حجزت بأول طيارة هي وزوجها لتكون بقرب عائلتها.

قضت ماسة ثلاثة أيام في المشفى وهي لا تتكلم وعيناها تنشران الوجع في كل مكان وحان موعد الجلسة التي تفصل بين الحق والطغيان وبعد الساعة الثالثة اتصل المحامي تامر بماسة ولم تجيب فاتصل بوالدها فأخبره أن زوجته توفيت وسأله عن ماسة فعلم أنها في المشفى في حالة نفسية مزرية وصعبة.

فقال له ما حصل في الجلسة وسأله عن المشفى التي فيها ماسة لزيارتها وعبر له عن حزنه لوفاة السيدة ماجدة وطلب منه ألا يخبر ماسة عن الحكم الذي حصلت عليه الآن وأنه سيزورها ويخبرها بنفسه.

كانت هديل وكاميليا بالمشفى مع ماسة يحاولون أن يجعلونها تتحدث ولكن صوتها رحل مع الحنان الذي كانت تريده من أمها

التي كانت حلم لم يتحقق، كاميليا فكرت كيف لها أن تقنع ماسة بالكلام وأن تنهض من حزنها فذهبت إلى بائع الزهور واشترت لها باقة من الورود وعادت إلى المشفى وحاورتها قائلة:

- يا ماسة والدتنا ماتت وهذا قضاء وقدر سيصيبنا جميعاً لن نبقى على قيد الحياة سنرحل إلى عالم آخر تلتقي فيه الأرواح والدتنا ما زالت هنا بروحها تشاهدنا وتسمعنا وتدعو لنا بالخير والصلاح والهداية وهي ستكون تعيسة إن شاهدتك هكذا لا تتكلمين ولا تأكلين وأصبحتِ ضعيفة مستسلمة لواقع إن شئتِ أو أبيتِ سيمضي فلا تجعلين روحها حزينة عليكِ هيا انهضي من اليأس الذي سيطر على قلبك ولتشعرين بها بقربك وأنا سأبقى معك دائماً سأكون لكِ أماً وشقيقة وصديقة فأنتِ النبض هيا هيا عودي كما كنتِ أريدك قوية صامدة كما عهدتكِ دائماً أنا أحبك ووالدي ويامن وهديل سنكون لكِ كل شيء فاجعلي إيمانك أقوى والبقاء لله عز وجل.

ابتسمت ماسة لكلام كاميليا واحتضنتها وهمست لها:

- أحبك أحبك ابقي بقربي أحتاج لعطفك ولدفء قلبك.
- نعم نعم لن أتخلى عنكِ طالما حييت يا ماسة هيا سأطلب لكِ الطعام لتأكلي ولتنهضي إلى المنزل لديكِ دروس مهمة أريد أن أفتخر بكِ إنكِ شقيقتي الطبيبة الجميلة والرائعة والمميزة التي ستتفوق على جميع الظروف والجراح وتتغلب عليها لتصبح في القمة عالية الرأس شامخة الروح.

نهضت ماسة ووقفت أمام شباك الغرفة فتذكرت موعد الجلسة تريد معرفة ما حصل:

- كاميليا اجلبي لي هاتفي فوراً لأتصل بالأستاذ تامر بسرعة.
- تفضلي هو صامت من أربعة أيام فعلاً نسينا الموعد اتصلي به هيا

اتصلت ماسة بتامر فأخبرها أنه أصبح قريباً من المشفى وسيأتي ليخبرها بما حصل شخصياً.

عشر دقائق كانت فيها ماسة متوترة وقلبها يدق بسرعة شديدة تريد معرفة الحكم الذي صدر.

- مساء الخير يا ماسة.
- مساء النور أستاذ تفضل بالجلوس.
- كيف حالتك الصحية الآن؟
- لا بأس أفضل من قبل والحمد لله وأنت كيف حالك؟
- الحمد لله أنا بخير لدي أخبار جيدة عن الدعوى.
- ألف شكر لك يا الله تفضل.
- صدر الحكم وجاهياً بالبراءة قابل للاستئناف.

صمتت ماسة أصبحت تبكي وتضحك في نفس الوقت دموع فرح وضحكات الخير وأيقنت بهذه اللحظة أن روح أمها معها وأن الله كان معها في كل خطوة كانت تسير بها لتظهر الحقيقة.

- من حقك أن تفرحي يا ماسة حتى القضاء أنصفكِ وكان عادلاً لأن الحق واضح ومن أجل باسم لا أظن أنه سيستمر ويستأنف هكذا أتوقع.
- شكراً شكراً جزيلاً أستاذ تامر أنت ملاك يمشي على الأرض.
- أهلاً وسهلاً أستاذ جلبت لك القهوة ما الخبر أشاهد ماسة سعيدة جداً.
- يا كاميليا صدر الحكم بالقضية بالبراءة.
- حقاً ألف مبارك يا ماسة ومبروك لك أستاذ أنت رائع.

احتضنت كاميليا ماسة ودموعها تتساقط على خدها من الفرح.

- حبيبتي ألم أخبركِ أنكِ ستنتصرين وهذا رضا أمي عليكِ ودعائها المستمر بالتوفيق والنجاح لحياتك من كسب رضا والديه فتحت له أبواب السماء والأرض بالخير والمسرات مبارك مبارك.

وهنا دخل يامن الغرفة بخطوات بطيئة وعيناه يملأها الخجل فشاهد المحامي تامر وسأل عن صحة ماسة وتعرف على تامر وأخبره تامر بكل شيء وهنا أعلمهم جميعاً بحضور باسم إلى المنزل وعلم منه العكس ولهذا السبب غضب وقام بضرب وإهانة شقيقته واعتذر منها وقبلها وماسة سامحته من قبل أن يعتذر والمحامي تامر وجه إليه اللوم لعدم إخبارهم بحضور باسم لأن هذه الخطوة كانت ستفيدهم بالقضية ولكن الآن ظهر نور الضوء الذي بالسطوع ماسة بريئة ارتفعت معنوياتها كثيراً وصلت لله عز وجل صلاة الشكر وعاهدت روح أمها أن تستمر إلى مستقبلها لتحقق أهدافها والطموح الذي تسعى إليه.

- وفي هذه الرواية السامية التي تتجلى بواقع تدور أحداثه مع الكثير من الناس فصول وفصول لا تعد ولا تحصى من جوانب الظلم والقهر في قلوب الملايين من البشر وهناك نماذج متغلغلة في حياتنا مثل باسم تزرع الشوك وتحصد الشر وعندما توجهنا لباسم بعد

صدور الحكم لنعلم ما حصل لعقله المضطرب سنراه جالساً في غرفته منعزلاً وصامتاً يدور في رأسه ألف فكرة يحاول أن يجد حلاً لكي لا يخسر فاتصل بسالي صديقته التي ساعدته في الدعوى بشهادتها الكاذبة.

- هيا .. لم لا تجاوبين على اتصالي.
- باسم أرجوك ابتعد عني اليوم كنت في المحكمة وعلمت ببراءة ماسة يجب أن نجد حلاً فورياً لكي لا نعاقب، المحامي الذي يدافع عنها زكي جداً وشخصيته قوية ماذا تريد مني....؟
- أنا أريد الاستئناف وعليكِ أن تبقين معي لن أرضى بالخسائر من المحامي التافه تامر.
- لا أستطيع أنا مسافرة دراستي أهم وإن لم تجد حلاً سأذهب وأعترف بكل شيء انك كاذب حتى لو سأعاقب، ولكن سيرتاح ضميري أنت وعدتني فقط بأنك تريد أن تكسر كرامتها وكبريائها.

- تباً يا سالي فلتذهبين إلى الجحيم.

أغلقت سالي الهاتف بعد أن شتمها باسم ومن شدة امتعاضه الذي تصاعد إلى جميع أركان جسده أمسك كأس الماء وقام بكسره بيده وأصاب نفسه بجروح طفيفة فذهب إلى المشفى ليضمد الجروح فقدماه قادته إلى المشفى التي تتعالج فيها ماسة التي تتماثل للشفاء ومقرراً خروجها بعد أربعة وعشرون ساعة لتعود إلى حياتها الطبيعية.

باسم بعد أن خرج من المشفى ذهب إلى المكتب ليتحدث مع المستخدم وعندما وصل المكتب سأل عنه قالوا له أنه وجد عمل ثاني فاتصل به باسم ولكن المستخدم لم يجيب على اتصاله فذهب إلى منزله وأخبرته زوجته أنه يعمل في مقهى بوسط البلد فأسرع إليه باسم وهناك طلب منه المستخدم أن يبتعد عنه وأنه لن يساعده في شيء بعد الآن يخالف القانون وأنه ندم كثيراً ولا ينام الليل وأعطاه المال الذي أخذه منه وأنه تحدث مع المحامي الخصم تامر وعبر له

عن أسفه الشديد لماسة وتوبته عن الذنب الذي اقترفه بحقها ورمى في وجهه المال وطرده من المقهى.

عادت ابتسامة ماسة ومع تلك الابتسامة هناك نظرات إعجاب متبادلة بينها وبين تامر الذي أحب قلبها الناصع وروحها الشفافة ولكنه لا يريد أن يفصح عن مشاعره الآن لأنه يعلم أن الوقت غير مناسب وماسة حزينة على والدتها والصدمة من علاقتها السابقة مع باسم لا زالت لم تنتهي من تفكيره والجروح لم تندمل بعد....!

- أنا ذاهب الآن وسعيد لأن الطبيب قرر خروجك غداً انتبهي لنفسك سنلتقي قريباً لأخبرك ما سنفعل لنضع حداً لباسم لكي لا يستأنف ويضيع وقتنا رغم توقعاتي بأنه لن يفعلها ولكن علينا أن نكون مستعدين. عن اذنكم طاب يومكم بالخير والسعادة.
- أنعم الله عليك بمساء جميل أستاذ مع السلامة.

- مع ألف سلامة أستاذ تامر وتشرفت بك
- وأنا أيضاً يامن وكن هادئاً لا تتسرع.
- مع السلامة أستاذ وشكراً لزيارتك العزيزة.

ضحك الجميع وخرج يامن مع تامر ليوصله إلى باب المشفى.

ماذا سيطلب باسم من تامر والعكس وبماذا ستنتهي روايتنا التي عانت في حقيقتها أكثر البطلة.....؟

مرت أيام وعادت النجوم تلمع في حياة ماسة وزارت تامر في مكتبه مع كاميليا ويامن واتفقا على إكمال الحرب التي شنها باسم وهم ينتظرون منه جواب النهاية التي ستفصل الخيط الذي يربطه بماسة لتنساه إلى الأبد وتدفن ما حصل معها في القبر ليكتب على الشاهدة ماتت هذه القصة.

الفصل الخامس

" ما قبل النهاية "

بدأت أيام تلوح بجمال نقي يقترب ودائم يحتضر يلفظ أنفاسه الأخيرة ليكون ما قبل النهاية التي ربما تكون سعيدة ربما تعيسة في حياة ماسة وباسم وتامر والأحداث التي ستدور بينهم فسلام على من أعطى وسبيله بالحب أكبر.

في قلب ماسة بدأت مشاعر تشبه الربيع الذي يأتي ليسعدنا بعليله الندي الرقراق وساعاته التي تأخذ الروح إلى المجرات المختلفة وجعلت في دقات القلب يخفق ليدور في داخله الحساس غرام حائر هل يا ترى هو عاشق لها أم أنه لا يكترث قلبه من نظراتها التي تقرأ في عيناه الود واللهفة والإعجاب تريد ماسة أن تتأكد من ما تشعر به هل هو وهم أم ماذا....؟

أم أنها مجرد عاطفة عابرة منه ستنتهي وتتبخر .....؟

جلست تحت شجرة الصنوبر التي تحبها في حديقتها وسألت أوراقها عنه والفراشة التي تنتقل من زهرة لزهرة مع الشوق لسماع صوته ورؤيته يجتاح فكرها فأمسكت هاتفها لتتصل بتامر وإذ به يرن قبل أن تضع يدها على زر الاتصال و المتصل تامر.

- ألو أهلاً أستاذ تامر.
- كيف حالك يا ماسة....؟
- أنا بخير كنت أريد الاتصال بك ففوجئت بك تتصل أنت سبقتني بدقيقة واحدة فقط.....!
- وماذا تسمينه هذا ....؟
- لا أعلم .....! (بخجل)
- كنت أفكر بكِ قبل أن أتصل.
- وبماذا كنت تفكر....؟
- سأخبركِ عندما أراكِ غداً إن شاء الله.

- في أي وقت، بعد الساعة الثالثة لدي أخبار سارة لكِ بخصوص باسم
- اتفقنا؟
- ألا تريدين معرفتها مسبقاً....؟
- لا أريد معرفة بماذا كنت تفكر قبل أن تتصل بي.
- مممممممممم (ويضحك تامر)
- أين أنتِ الآن .....؟
- أنا في الحديقة القريبة من منزلنا عند شجرة الصنوبر التي أحبها كثيراً
- جيد جداً لديكِ وقت لانتظاري سأخبركِ الآن كل شيء (ويضحك)
- نعم سأنتظرك مع السلامة
- مع السلامة

وصل تامر إلى الحديقة واقترب وجلس على الكرسي الذي تجلس عليه طفلته المدللة ماسة وأخبرها عن إعجابه وطلب منها أن تخبر والدها أنه يريد لقائه غداً مساءً لخطبتها رسمياً منه ولكن لن يتم إعلان الخطوبة إلا بعد أن تمر بضعة أشهر على وفاة والدتها والزواج بعد أن تنجح وتصبح طالبة في كلية الطب لأنه يريدها أن تكمل الدراسة لتصبح كما تريد وتحب وتحلم.

ماسة لم تتفوه بكلمة سوى أنا موافقة قالتها بعيناها وابتسامتها التي ارتسمت على وجهها طيلة الوقت.

أوصلها تامر إلى المنزل وعاد لمكتبه والفرح والسرور يلمع في عيناه.

وماسة أخبرت كاميليا ويامن واتصلت بهديل وأخبرتها بكل شيء، فرحتها فرحتين الحب الذي تستحقه من رجل بكل معنى الرجولة التي للأسف أغلب مجتمعنا الشرقي لا يعلم معانيها الحقيقية، الرجولة تسامح صدق، إخلاص ومسؤولية، وخوف من

الله، الرجولة نخوة وشرف وأخلاق عالية والتي يتصف بها الشخص الذي لديه ثقة بنفسه وبقدراته العقلية والنفسية بقوة شخصيته واحترامه لنفسه، قبل غيره، الرجل الحقيقي وإن أذنب يعترف ويعتذر ويتحمل ما فعل وهنا أتت فرحتها لأنها ستنتهي من باسم وظلمه لها وستطوي صفحة سوداء في عمرها وتبدأ صفحة بيضاء تعلمت أن تضع على سطورها ما تعلمته من التجارب السابقة لتكتب فيها كل ما هو خير وتضع حداً لكل شيء سيأتي.

أتى والدها مساءً وأخبرته ووافق إن كان هذا الأمر يسعد ابنته فتخيلها عروساً ترتدي فستان الزفاف فذرف دموعاً وتخيل زوجته معهم سعيدة برؤية ابنتها تزف لزوجها فدخل غرفته لا يريد أن تراه ماسة وهو يبكي ويتألم فتبعته كاميليا وأغلقت باب الغرفة.

- رأيت دموعك لا تبكي يا أبتاه.
- تذكرت أمكِ كانت تنتظر هذا اليوم أن تشاهد ماسة عروساً وأنتِ ويامن أيضاً.

- أعلم هذا ولكنها الآن سعيدة لأن ماسة انتصرت ووجدت رجلاً حقيقياً يكون لها سنداً بإذن الله.
- وهذا ما أسعدني كثيراً أرجو من الله أن تبقى ابتسامتها لا تفارق شفتاها.
- هيا لنخرج ولا تشعرها بشيء.

احتضن السيد عبد الكريم كاميليا وخرجا إلى غرفة الجلوس سوياً ليكملان الحديث مع ماسة ويامن وجلست العائلة تتحدث عن حياتهم المستقبلية.

فأخبرهم والدهم أن شريكه عاد من السفر وتم القبض عليه وإنه سيحاكم ونسترد المال الذي سلبه منه ووعد كاميليا أن يشتري لها كاميرا التصوير التي تريدها لأن التصوير هوايتها المفضلة وسيشتري عيادة لطبيبة الأسرة ماسة ومنزلاً ليامن ليتزوج أما هديل الأم الثانية لأولاده عندما تأتي لها مفاجأة كبيرة.

في اليوم الثاني عند الساعة الثامنة مساءً أتى تامر وطلب ماسة للزواج وتمت الخطوبة وتعرفت والدته ووالده على أهل ماسة وكانت ليلة مميزة وسهرة ممتعة.

وباسم لا يعلم ما يحصل مع حبيبته التي أصبحت مع شخص آخر بكل جوارحها فحالته النفسية صعبة وعلامات البأس والهزيمة والاكتئاب تعتلي ملامح وجهه المتعب ولحيته الطويلة التي ظهرت وعيناه المنتفخة من السهر وجسده النحيل يريد أن يلتقي ماسة يراها في كل ركن من أركان منزله أهمل نفسه وعمله ولا يتحدث مع أحد.

مرت أيام وأتى موعد اللقاء بين ماسة وتامر في المحكمة وبعد أن صدر القرار حيث أن الجهة المدعية لم تستطيع إثبات ادعائها بالطرق القانونية المقبولة وتم إثبات براءة المدعي عليها وفي هذه الحالة تم إجراء المصالحة وإسقاط الحق الشخصي وعدم الاستئناف واتفق الطرفان على ذلك.

وقام الطرف المدعي بطلب إسقاط على أن لا يقوم الطرف المدعي عليه بدعوى افتراء وفقت ماسة وتامر على طلب باسم وتمت الأمور القانونية في المحكمة وباسم لم يكن سعيداً.

- باسم أنا سامحتك وأريدك أن تنساني للأبد ولكن لن يكون لك في خانة الذكريات.

وصمت باسم وقلبه سينفجر من الغيظ والنار التي تغلي في صدره من حديثها لا يمكن أن تتحملها البراكين.

خرجت ماسة من المحكمة وضحكتها لا تفارق شفتاها وتامر بقي في عمله داخل القصر العدلي. وعادت ماسة إلى منزلها وكأنها طير كان في قفص وتحرر من القيود أحست أنها حرة طليقة نامت قريرة العين هادئة تحرسها أحلامها التي تراها في نومها العميق.

- جدتي جدتي أكملي لنا القصة لما توقفتِ...؟

- ماسة ذهبت إلى النوم وأنت أيضاً إلى النوم في الصباح الباكر سأكمل ما تبقى
- سؤال يا جدتي هل ماسة كانت جميلة وما سبب خوف باسم منها؟
- هذا لم تذكريه فأنا أتلهف لأعلم ما حصل....؟
- نعم ماسة كانت جميلة أما ما حصل بينها وبين باسم ستعلمه غداً أنت في عمر العشرين وأنا عجوز تجاوزت الستين وجسدي بحاجة للنوم هيا أريد أن أنام ويفضل أن تذهب أيضاً إلى النوم تصبح على ألف خير وسعادة.
- وأنتِ بألف خير غداً نكمل.

أتى يوم اختبارات ماسة في الثانوية العامة وكانت مستعدة بشكل كبير وحماس كبير وهي متفائلة كثيراً ومضت أشهر وتفوقت على نفسها ونجحت في دراستها وعلاماتها ممتازة فأقدمت على التسجيل في كلية الطب وبعد أن انتهت كان لها موعد مع خطيبها تامر الذي التقت به في المقهى ليتحدثان.

- مساء الحب.
- مساءك نقاء كأنتِ حبيبتي كيف أنتِ اليوم
- أنا في قمة السعادة
- الحمد لله أنكِ سعيدة وأنا سعيد لأجلكِ.
- قابلت اليوم صديقة لي قديمة تدرس علم النفس وأجرت لي اختبار نفسي وأخبرتها عما حصل معي وقالت لي إن عدم تأثري وتجاوزت الموضوع النفسي لأن حديثي عما حصل كان عادياً لم تشاهد أي آثار على وجهي من الحزن أو الدموع أو الانزعاج.

- هذا جيد والسبب يعود لأن قلبك النظيف الذي تفوح منه رائحة الطيبة التي تنشر الخير للجميع وهذا ما أعشقه بكِ وجعلني أغرم به هو قلبك.
- أخجلتني ....!
- هذه حقيقة تعكس على وجهكِ الطفولي غاليتي.
- شكراً جزيلاً وأنت أعظم رجل تراه عيوني سأكمل لك ما قالته لي عندما أخبرتها أنني قمت بصفع باسم على وجهه عندما قال لي أنا لا أحبك ولا أريدك وكنت أتسلى بكِ فإنك لا تعنيني وأريد أن نكون أصحاب فقط فقالت أن ردة فعله كانت الدعوى التي جعلت منه المحامي الأضحوكة بين الناس لأنه يعاني من اضطرابات وهذا طبيعي لديه لحماية نفسه مني لأنه يعاني من هواجس لربما ماسة ستنتقم مني.
- أنا لا أعارض صديقتكِ ولكن أنتِ تصرفتِ بشكل طبيعي كأي فتاة أحبت بصدق وكانت تريد أن تفرغ غضبها الناجم

عن ردة فعل لتخلي الحبيب والشريك عنها بعدما تعلقتِ به فالتسلية بالمشاعر ليس بسهل على أحد إن كان رجل أو امرأة ولا يفعلها إلا من يعاني من عقد نفسية تراكمت بسبب صدمات تغلبت عليه

- (وتضحك ماسة) نعم أصبت يا حبيبي.
- ودليل أنكِ رغم انتصاركِ عليه سامحتِ وصفحتِ عنه هداه الله.
- أنا لا أكرهه لأنه لم يؤثر فيني والحمد لله أنا جائعة ما رأيك أن نأكل.
- وأنا أيضاً.
- باسم ضائع عاد لحياته الطبيعية ولكنه علم بخطوبة ماسة لتامر والغيرة تأكل فؤاده ويحاول دائماً أن يمتص غضبه رغم وجود علاقة في حياته يبنيها على الخداع ولكن ماسة لم تغيب عن عقله وقلبه.

- كاميليا نجحت في دراستها وأصبحت في كلية الحقوق في السنة الثالثة. ويامن تزوج وزوجته ستنجب له طفل، وهديل قررت أن تأتي للعيش في بلدها مع زوجها وابنتها التي سمتها ماسة الصغيرة.
- يا الله يا جدتي هل انتهت حكاية صديقتكِ ماسة....؟
- لا يا شقي هناك بقية.
- سؤال يا جدتي.
- تفضل.
- لما قصصتِ علينا حكايتها .....؟
- لأن حكاية ماسة فيها عبرة وتحدي وصبر ومقاومة لكل شخص يقع بظروف صعبة أريد منك أن تتجاوز ما حصل من أخطاء هذه المدرسة التي نعيشها ونتعلم ونطبق أما أن ننجح أو أن نفشل ونعود كما كنا.

- فعلاً قصة ماسة وباسم فيها امتحان وحكمة هيا أكملي الباقي يا جدتي الطيبة
- ذات يوم وتامر في قاعة المحكمة وهو خارج منها وجد باسم ينتظره للحديث إليه وهو يرمقه بنظرات حقد وامتعاض.
- أنت انتظر أريد الحديث معك.

فتلفت إليه تامر وهو يبتسم ابتسامة سخرية في وجه باسم.

- ماذا تريد وبسرعة لأني مشغول جداً ولا أعتقد أن هناك ما نتحدث به.
- لا لا يوجد بأي حق تأخذ مني ماسة كالأفعى السامة....!
- احترم نفسك ولا تسيء بالكلام ماسة خطيبتي لا تذكر اسمها على لسانك والأفعى السامة هي أنت من دخلت حياتها وحاولت تحطيمها ولكن الله وقف معها لأنها بريئة ولم تذنب بحقك على العكس كانت محبة لك وأنت من غدرت بها وأذيتها، عن اذنك لان وقتي ضيق لدي عمل.

- انتظر لا تذهب أنا أحبها أيضاً وهي لا زالت تحبني .....!
- يضحك تامر بسخرية على كلامه الغير موزون بعقله المريض
- اها اها وماذا بعد....؟
- وستعود إلي سترى ولن تبقى معك ....!
- هل أنت مجنون أم ماذا ....؟ كيف تقول كلام فارغاً....؟ ماسة لن تعود لك لأنك رجل يدعي الرجولة ويلبسه قناعاً فقط وزال القناع وثبت أنه إنسان لا يستحق الحب أدخلها في توتر ودعوى كيدية كاذبة وجلب التعاسة لعائلتها وافتعل الفتن بينها وبين شقيقها الذي كاد أن يقتلها ويرد أن تحبه وتعود إليه ماسة بربك فكر قليلاً بعقلك المهووس وكفاك أحلاماً تبنيها لوحدك فوق السحاب قمت باستغلال مهنة المحاماة والقانون بإلحاق الضرر بفتاة لم تفعل لك شيء استعملت الشهود الزور ونصبت لها فخ بتمثيلية الحمل الوديع الذي يحبها ويريدها للزواج وهي رفضت الوسائل التي حاولت بها لتستدرجها للخطأ

والانحراف بعلاقة غير سوية وتريد أن تعود لك اذهب رحمك الله وهداك.

ويضحك باسم لكلام تامر ولا يبالي به.

- هل أصبحت معيد محاضرات في القيم والأخلاق.....؟
- تباً تباً لدي عمل لا أريد أن أتحدث أكثر.

وأدار ظهره باسم ومشي فيقول له باسم وهو جاحظ العينين وشفتاه ترتجف :

- سنلتقي قريباً ومعي ماسة .

ومرت ستة شهور وتحدد موعد زفاف ماسة وتامر وعادت هديل إلى بلدها مع ماسة الصغيرة وزوجها وبدأت ماسة تذهب يومياً مع هديل إلى السوق لشراء حاجيات الزفاف أما فستان الفرح كان هدية من سعيد وزوجته دانا أصدقاء تامر وأول المدعوين.

- هكذا هي الأقدار تأخذنا لمصيرنا من دون أن نشعر وتحضر لنا المفاجآت فالخير يأتي من الله والشر من أنفسنا وعدم إدراكنا للواقع بالشكل الصحيح لنغوص في أعماق الكون لنجد ما نريد من ألوان نرتكز عليها لنمسك الريشة ونبدأ برسم اللوحة التي ستنتهي يوماً ما لنرحل بعدها ونترك الذكرى التي سيرويها من سيأتي من بعدنا فينظر الجيل ما قامت به أيدينا من رسوم لتتعلم لترتقي من قيمنا .....
- أظن يا جدتي أنكِ انتهيتِ.
- لا بقي القليل يا طارق من القصة.
- ما سر معرفتكِ بالتفاصيل بما حصل لماسة....؟
- سأخبرك لاحقاً ممم لا ستعلم بعدما أرحل عن هذه الدنيا
- حفظكِ الله وأدامكِ لنا.

تزداد يوم بعد يوم قوة العلاقة التي تربط ماسة بتامر إنه الحب من جديد ينظم لها دقات قلبها ليولد منه بريق ساطع من عيناها وحافز قوي لينتفض بين أركان الأرض وميض تصالح ليستقر داخل السطور وينشط داخل العروق ليحتل النجوم ويرحل إلى الأفلاك ويستقر عند كل صباح بجوار الشمس بعيد عن العيون تحرسه هي فقط.

الفصل السادس

" ندم ولا عودة "

عاد باسم إلى منزله في يوم شعر به أنه يختنق لا يستطيع التنفس وعيناه متعبتان من قلة النوم ولم يتمالك نفسه وأمسك هاتفه بحث في قائمة الأسماء على رقم ماسة واتصل بها ولم تجيب وكرر الاتصال لعدة مرات ولم تجيب وبعدها وجد رقمها خارج الإرسال فجن جنونه وبدأ يصرخ ويقول.....

- أنا نادم على ما فعلت عودي إلي أنا غبي وأحمق أرجوكِ عودي سامحيني سامحيني.

دخل المطبخ وشرب الماء وعندما سمع صوت هاتفه من بعيد ركض إليه مسرعاً بغرفة الجلوس ظن أن ماسة اتصلت به ولكنها والدته تريد أن تطمئن عليه فهي قلقة عليه كثيراً لم تراه منذ مدة طويلة فهم وخرج من المنزل إليها شعر أن هذا هو الوقت الذي يحتاج به لحنان أمه ولأول مرة استطاع أن يدخل إلى قلبه مشاعر

الحرمان من الأم وكم هو مؤلم ومزعج وقاسي جداً ولوهلة علم السبب الذي دفع ماسة للحفاظ عليه لآخر لحظة ولام نفسه لفقدانها رغم كل ما حصل لا زالت ماسة الهواء والماء لباسم الذي تحسر على ما فعله بحقها.

استفاق وجدان الشيطان بيقظة متأخرة تاب فيها عما فعل ....!

وعندما وصل إلى والدته ارتمى على حضنها يبكي كالأطفال ويتنهد ووالدته مذهولة من حزنه وهي لا تعلم ما حصل وقال لها:

- أماه يا أماه سامحتني وأنا جرحتها بمشاعرها لم أدرك قيمة قلبها كنت واهم وأبله أنا أتعذب أريد أن أرتاح صفحها عني يدمرني أتأوه لأجلها جعلت في وجداني برق ورعد يلمع في كل اللحظات لم أكن أعلم معنى الحب إلا عندما عشقتها.
- من هي يا بني تكلم وأخبرني ماذا فعلت لها .....؟

- سأخبركِ بكل شيء ولكن لا تلوميني فأنا أعلم ذنبي وندمت .....!

وبعدما سمعت والدة باسم التفاصيل من ابنها قالت له كلام قاسي بنبرة حادة وهي تضرب يداها ببعضهم وحاجباها معقودتان من الغضب مما سمعت.

- ما ربيتك على هذا يا باسم ولم أقل لك يوماً تسبب بأذية احد ما عندما ضاقت بك الدنيا أتيت إلى صدري لكي ترتاح أما ماسة كنت لها الأم والأب والأمان وغدرت بها وتلاعبت بمشاعرها ولأن الله يحبها ومظلومة انتصرت عليك ووجدت رجل يستحقها ليكون عون لها فليحفظها الله وأنت هداك وارجع لقلك الصواب.
- احمده كثيراً يا باسم لأنه أرسل لك ماسة لتصفعك بطيبتها وكرم أخلاقها لتجعل منك رجل آخر علم أخطائه معها ومع غيرها اشكرها لأنها أعادت لي ابني كما كان ابكي يا باسم

وليسامحك الله البكاء ليس عيباً على الرجال لأنه مؤشر على أن قلبك عاد كما كان ومسح الغشاوة التي عليه وعودة الإيمان والاحساس وروح الإنسانية التي خلقت بالفطرة فيك.

- أنا آسف ومتعب كثيراً.
- ادخل استحم ولتبقى عندي لفترة وبعدها ارجع لحياتك وعملك.
- ولكن أنا أريد ماسة.
- دعها وشأنها هي ستتزوج برجل في أعالي السماء كتبت له نصيباً وأنت نصيبك مع غيرها اطلب فقط أن يسامحك الرب على ما فعلت هيا ادخل الحمام وسأحضر لك الطعام ونتحدث.
- حاضر حاضر.
- رغم أنه لم يقتنع كثيراً من حديث والدته ولكنه وجد حضنها ملاذاً ومستقراً له ليرتاح من تأنيب ضميره وجد من واساه ورفع من معنوياته وماسة التي لا تفارق ذهنه ولا صورتها التي

تظهر له وهي تبتسم وهي تتحدث وهي تنظر له بالحب الذي خسره وبغبائه تبخر.

وفي يوم رقصت به أوراق الشجر وهي خاشعة وعاشقة ومن الفرح تتقلب تبني في مدارها قصراً والطيور تغني مع العشب الأخضر والهدوء يسكن الحي والجميع يتحضر ليشاهد عروساً حضرت لتلبسها الساحرة التي ألبست سندريلا ولكن من دون أن يضيع حذائها بعد منصف الليل لأن أميرها بلهفة ينتظرها ليطير بها لتضعه في جوفها وتغلق الباب الذي كتبت عليه (توأم الروح الذي له أعيش وبه أكبر) هكذا بدأت مراسم زواج ماسة وتامر.

تزوج تامر من ماسة ومضت الأيام مسرعة وأنجبت له توأمان جميلان صبي وبنت (ذكرى وزياد) وساعدها تامر على الاهتمام بهم لتكمل دراستها التي أنهتها واختصت بالجراحة العامة والقلب وأصبحت كاميليا محامية متدربة لدى صهرها تامر، ويامن تزوج الثانية لأن زوجته لم تنجب له بنتاً يريد فتاة تشبه شقيقاته

هديل وكاميليا وماسة لأنه أدرك أن البنات مثل الصبيان يمكنها أن تكون بألف رجل وأن التربية والصبر والتحدي للظروف تخلق منها أنثى تعلم متى تكون طيبة ومتى تكون قاسية ومتى تكون أماً وأختاً وصديقة ومطيعة ومتى تظهر أنوثتها فقط لمن هو زوجها ورغم معارضة عائلته لقراره ولكنه تزوج والسيد عبد الكريم يملأ حياته أحفاده بالابتهاج وطيف زوجته السيدة ماجدة لا يفارقه دائماً يراها داخل منزله بروحها الطاهرة تحرسهم بالدعاء.

- يا لها من حكاية رائعة يا جدتي العجوز الجميلة.
- هههه يا لك من شقي نعم انتهيت ما رأيك بصراحة.....؟
- أنا تعاطفت مع باسم ندمه شيء مستطاب منه ولكن أتى متأخر.
- وما يفيد الندم يا طارق ولكنه درس له ولها ولك
- نعم حسناً حسناً ولكن سؤال يدور في عقلي أريد جواب عليه.....!

- مممممم تفضل.
- ماسة صديقتكِ ولهذا السبب تعلمين ما حصل معها ولكن كيف علمتِ ما حصل مع باسم ووالدته؟
- أنت كثير الكلام ولكن سأجيب على سؤالك.
- بعد زفاف ماسة وتامر والدة باسم زارتهم وطلبت منهم السماح لابنها وأخبرتهم عن ندمه الشديد وأنه تغير بأطباعه السيئة اعذرني فأنا نسيت أن أقولها لك.
- هذا جيد يا جدتي ولكن أنا شديد التركيز معك وكنت أتخيل ما تقولين.
- وماذا تعلمت في النهاية يا حفيدي الصغير .....؟
- تعلمت أن الحياة لا تستحق هذا العناء والكره والحقد والانتقام لأنها قصيرة فلنعيش بها في الخير والود والتسامح والتعاون على الإصلاح لنبقى ذكرى جميلة.

- أحبك يا طارق حياك الله ورعاك هيا اذهب لأرتاح أنا متعبة قليلاً.
- طاب يومك بالخير.
- وأنت أيضاً يا عزيزي. في النهاية التي دونت في رواية واقعية أنجزت من معاناة الكثير من البشر في قوقعة الحياة الفانية لنوضح فيها مجريات ما حصل لنوجه رسالة للأجيال القادمة لنضع نموذجاً بين أعينهم للوعي والتفكير الجلي لمخاطر المجتمع الذي نعيشه كل يوم وأن مهمة القضاء هي إظهار الحقيقة واضحة وجلية ولا يهم سوى الحقيقة سواء كانت لصالح المدعى عليه أم المدعي لأنها مهمة القانون العادل الذي أساسه أن يعطي لكل ذي حق حقه وأن يكون النافذة التي تبني مساواة جديرة بين الأطراف بجلاء وتأمين الوصول إلى الصواب النافذ من عقول أهل القانون الذي نوجه لهم ألف تحية

وسلام واحترام لما تبذله مجهوداتهم لإظهار واستبيان القرار الصحيح والذي قاله الله عزوجل في كتابه القرآن الكريم.

بسم الله الرحمن الرحيم

(وإن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)

صدق الله العظيم

- وبعد أن قالت الجدة ما قالته لطارق وانتهت من سردها العميق مرت عليها شهور ورحلت إلى ربها وهي مرتاحة بعد أن عاشت أياماً رأت فيها مرح وهناء وبركة علم بعدها طارق وأحرز من وعيه كل ما تذكر القصة أن ماسة هي جدته التي عانت من حرمانها لوالدتها وقهرت في مشاعرها بتعسف وجور وضيق.
- رحمكِ الله يا جدتي الرائعة ولن أنساكِ ما حييت.

النهاية **بيسان أحمد**

الفهرس

١) الإهداء		٥
٢) الفصل الأول	(طفولة وحنان)	٧
٣) الفصل الثاني	(حب بريء)	٢٤
٤) الفصل الثالث	(بداية ونهاية مؤسفة)	٤٧
٥) الفصل الرابع	(النهوض من الظلم)	٦٨
٦) الفصل الخامس	(ما قبل النهاية)	٩٥
٧) الفصل السادس	(ندم بلا عودة)	١١٣